الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي - صالحي أحمد - النعامة- NaamaUniversitycentre -salhi Ahmed

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان :

نقد المتصوفة للشيخ عبد الكريم الفكون" كتاب منشور الهداية أنموذجاً "

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ : ربيعي الميلود **إعداد الطالبين** : ميلي عبد المالك

لخضاري محمد

الأستاذ	الرتبة العلمية	الصفة
ربيعي الميلود	دكتور	مشرفا
بوخال لخضر	دكتور	رئيسا
مرين عبد الله	دكتور	ممتحنا

الموسم الجامعي 1444هـ الموافق لـ 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : عبد المالك مياحي

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) : طالب جامعي - ماستر 2 -

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200760488

الصادرة بتاريخ : 2016/12/01

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : نقد المتون لدا عبدالكريم الفكون "كتاب منشور الهداية أنموذجا"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/05/24

توقيع المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : لخضاري محمد

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالب جامعي - ماستر2

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 201729757

الصادرة بتاريخ : 2017/07/31

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير– أطروحة دكتوراه) عنوانها : نقل المصوغة لداعبد الكريم الفكون "كتاب منتشر الهداية أنموذجا"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/05/24

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾
[إبراهيم: 7]

اللهم لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضى ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كل الشكر لله عز وجل الذي أنار دربه المعرفة وأعاننا على أداء هذا العمل وإتمامه ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً .

ومن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف ميلود ربيعي سائلين المولى عز وجل أن يجزيه عنا خير الجزاء ، كما لا ننسى أولي الفضل علينا أساتذتنا الكرام وإلى كل من علمنا راجين من الكريم المنان أن يرزقنا وإياهم الفردوس الأعلى من الجنان .

إهداء

أهدي هذا العمل إلى تلك الغالية على القلب ، إلى روح جدتي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته .

إلى رفيقة الدرب وحبيبة القلب أمي التي أحيا وأموت من أجلها .

إلى أبي الغالي ، الذي كان سندا وعوناً لي في هته الحياة بعطائه وعطفه وحنانه ، أدامه الله تاجاً فوق رأسي .

إلى أختي وإخواني الأعزاء الذين تشاركوا معي الحلو والمر منذ طفولتي حفظهم الله ورعاهم .

إلى رفيقة العمر زوجتي الغالية التي كانت صبورة معي طيلة إنجازي لهذا العمل .

إلى فلذتا كبدي مريم و زكريا المختار حفظهم الله ورعاهم .

إلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة فمني لهم جميعاً جزيل الشكر والامتنان .

ميلي عبدالمالك

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى حبيبة الروح إلى أمي العزيزة .

إلى روح أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته يا رب العالمين .

إلى جميع إخوتي وأخواتي سندي الذي لا يميل حفظهم الله ورعاهم .

إلى رفيقة الدرب زوجتي الغالية التي كانت سندا لي في إنجاز هذا العمل بصبرها وسعت قلبها .

إلى حبيبتي القلب فلذتا كبدي مريم وخيرة حفظهما الله ورعاهم .

إلى كل من أعانني من قريب أو من بعيد إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي .

لخضاري محمد

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين ، وعلى من استن بسنتهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين أما بعد :

إنَّ من المسلم به أنَّ التصوف كان - وسوف يبقى - محل اختلاف شديد وتباين حاد في الرأي ، بين المؤيدين والرافضين والمحايدين والقادحين والمدافعين والمهاجمين ، مما يجعله مثلا نادر التكرار للفن العلمي الذي تختلف حوله المواقف .

وإن كان هناك قوم قد مدحوا التصوف وغلوا في الثناء عليه ، حتى أوصلوه إلى أعلى المراتب ، وعدوه أجل العلوم الشرعية وأهمها ، وجعلوه الغاية وما سواه فظواهر وقشور ، فإن هناك فريق آخر قد وسم التصوف بكل عيب ونقيصة ، وجرده من كل نفع ومنقبة ، وجعله السبب الأهم لكبوة الأمة وفساد أحوالها .

وثمة فريق ثالث حاول أن يتوسط بين الطائفتين السابقتين فلم يقبل التصوف - بموضوعه ومنهجه وقضاياه ورجاله - مطلقا ، ولم يرفضه جملة وتفصيلا ، وإنما مدح وقدح ، وقبل ورفض ، وأثنى على جوانب الخير أينما وجدت ، وذم المثالب والمؤاخذات الكثيرة والمتنوعة ، والمتغلغلة في بنيان التصوف ومنهجه وآراء أصحابه .

وقد قيض الله عزوجل ، رجالا أكفاء ، علماء بأصول الدين ، غيورين على التصوف الصحيح أن تضيع معالمه ، فكان لهم إرشادات سامية ، وإشعاعات مضيئة ، وجهود لا تُغْمَطُ ، في الإنكار على الخارجين عن سنن التصوف الصحيح، الذي هو في بوتقة الكتاب والسنة، فكم وقفوا ضدهم ، وكم حاربوهم ، وكم شددوا في النكير عليهم ، وكم رصدوا أخطاءهم ، وكم فضحوا مسالكهم وبينوها للناس.

وإنها-بحق- معالجات تستحق الوقوف عندها ، والتأمل الجاد في رصدها ، إذ بها يستنير جميع من أراد التعرف على معالم طريق التصوف الصحيح .

ومن هؤلاء الذين قاموا بواجب النصيحة في تبين التصوف الصحيح ، والنهي عن البدع باسم التصوف ، والتحذير من غوائله، ممتثلا في ذلك أمر النبي ﷺ في قوله: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" ،الشيخ عبد الكريم الفكون الذي أقام الحجة ، وبين المحجة ، ووضح الفرق بين الحق والباطل ، وبين الصوفي والدعي ،وبين المتصوف والمتمصوف ، وذلك من خلال كتابه منشور الهداية والذي كان موضوع بحثنا ، فحاولنا من خلاله الإجابة على بعض التساؤلات أبرزها:

1- ما هو عليه المنتسبين إلى التصوف في عصرنا اليوم ، هل هو ذلكم التصوف الذي ضبطه الشيوخ الكبار بالكتاب والسنة ،ونبهوا على من خرج عنه ليس بصوفي أم لا ؟.

2- ماهي أهم الأخطاء التي وقع فيها المتصوفة والتي جعلتهم محل نقد وفتحت المجال لأمثال الفكون أن يسعى إلى تصويبها ؟

وللإجابة على هتهالتساؤلات ، جاء بحثنا الموسوم بـ: نقد المتصوفة للشيخ عبد الكريم الفكون " كتاب منشور الهداية أنموذجاً " معتمدين في ذلك على كتاب منشور الهداية باستخراج قضاياه النقدية والوقوف على أهم المسائل النقدية فيه ، فجاء البحث في مقدمة و فصلين وخاتمة .

فالفصل الأول الذي وسمناه بـ: عبد الكريم الفكون وكتابه منشور الهداية ،تناولنا فيه مبحثين الأول كان موضوعه ترجمةالفكون ومؤلفاته ، والمبحث الثاني كان موضوعه عرض لكتاب منشور الهداية .

أمَّا الفصل الثاني وسمناهبـ:حالة التصوف وصور المجتمع مطلع القرن العاشر ولقد تناولنا فيه أربع مباحث ، فالمبحث الأول تحدثنا فيه عن صور المجتمع الإسلامي في كتب الصوفية ، والمبحث الثاني كان موضوعه نقد المتصوفة والمبحث الثالث كان موضوعه نقد عبد الكريم الفكون لعصره ووصف زمانه أمَّا المبحث الرابع والأخير كان الحديث فيه عن بعض المسائل النقدية .

و خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث ، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي النقدي لأننا رأينا هذا المنهج يتماشى وطبيعة بحثنا وهو الأنسب في نظرنا لهذا البحث .

ويعود سبب اهتمامنا بهذا الموضوع :

- توجيه الأستاذ لنا للأدب الصوفي وذلك لخصوصيته وخروجه عن المألوف أحيانا مما يدعونا إلى التأمل في محاولة لسبر أغواره .

- دعوة إلى أن ينظر أصحاب التصوف في عصرنا ومحبيه والمائلين بقلوبهم إليه والمدافعين عنه في أحوالهم ويدققوا في أفعالهم ،وفي صورة التصوف الماثلة أمام أعينهم ، هل هو ذلكم التصوف الذي ضبطه الشيوخ الكبار بالكتاب والسنة ؟

- دعوة إلى تقويم الذات والسعي إلى الإصلاح والتوجيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث :

- عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تحقيق أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،ط1، 1987.

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ط1، 1998،ج1.

ولقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها :

- قلة الدراسات السابقة في هذا الموضوع .

- قلة المراجع التي تتحدث عن نقد المتصوفة .

وبالرغم من هذه الصعوبات ، إلا أننا حاولنا الإلمام والإحاطة ببعض جوانب هذا الموضوع وما يتعلق به إلاّ أنَّها لا تفي بكل جوانبه الواسعة ، فهو موضوع متشعب و ومفتوح على كل القراءات ، والتأويلات المختلفة .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور ربيعي الميلود الذي أشرف على هذا البحث ، والذي لم يبخل علينا بالدعم المادي والمعنوي ، وكان طوال مشوار هذا البحث ناصحا وموجها ، فجزاه الله حير الجزاء .

الفصل الأول : عبد الكريم الفكون وكتابه منشور الهداية

الفصل الأول : عبد الكريم الفكون وكتابه منشور الهداية

المبحث الأول: ترجمة الفكون ومؤلفاته

ترجمته :

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحي الفكون التميمي من قبائل تميم العربية ولد عام 988 هـ ، 1580 م بقسنطينة وهو اليوم الذي مات فيه جدّه عبد الكريم.

أمّا والده فهو أبو عبد الله محمّد ، خطيب الجامع الأعظم كان فقيها صوفيا ، توفي بعد رجوعه من الحجّ في أواخر محرّم عام 1045 هـ ، في إحدى قرى مصر وتسمّى المولیج.[1]

وأمّا أمه فهي عربية وزيادة إلى ذلك فهي تنتمي إلى النسب الشريف فقد ذكر الفكون ، في منشور الهداية ، فتنة وقعت بقسنطينة وذكر أن جدّه للأم وكان مزوار الشرفاء إذ ذاك ، وقائد جيش البلد ، أي أن جدّه لأمه كان شريفًا .[2] وقد ذكر أن اسمه أبي عبد الله محمد قاسم الشريف وعدّه من الذين تعاطوا المنصب الشرعي لادّعائهم العلم .[3]

وشيخنا المترجم له هو أوّل أولاد أبيه محمّد فقد ذكر الشيخ أنّه كان دعوة جدّه وذلك أنّه لما كان في آخر مرضه وكانت والدته حاملا به وكانت والدته حاملا به وكانت تعزّ على جدّه كثيرًا ، فسألته الدعاء فأخبرته ، أنّه قال لها جعل الله عمارة الدّار منك.[4]

ولم يذكر لنا الفكون إلاّ القليل النّادر حول حياته الشخصيّة من ذلك أنّه تزوج من ابنة حميدة بن حسين الغربي وأن هذه الزوجة بقت عنده ثلاث سنوات ثمّ طلّقها لأمور لا يمكن إبقاؤها مع ذلك.[1]

---

[1]- عبدالكريم الفكون: ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تحقيق أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،ط1، 1987، ص 52 .

[2]-عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 49 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 68 .

[4]-المصدرنفسه ، ص ص 52/51 .

أو سكناه الجديدة التي بناها قبلي الجامع الأعظم عام 1022 هـ ، وفراره من سكنى الدار العليا لما حصل له من الضيق والتضييق من بعض الأقارب.[2]

وقد ترجم للفكون كثير من المؤرّخين من بينهم أبي سالم العيّاشي المتوفي سنة 1090 هـ/1679 م ، إذ يقول ومن لقبته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النية سيدي محمد العلامة الفهامة النّاسك الخاشع الجامعبن علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم الفكّون ، القسنطيني ، وكانت وفاته ﷺ ، عشيّة الخميس السابع والعشرين من ذي الحجّة سنة ثلاثة وسبعين وألف(1073هـ) شهيدًا ، بالطاعون الذي حل بقسنطينة ، وكانت لنا به رضي الله عنه ، لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته ، وإني أقول لك كما قال الشاذلي : لك ما لنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرّحمة . وكان ﷺ في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ، ومجانبة علوم أهل الرسوم ، بعدما كان إمامًا يقتدي به فيها ثمّ تركها ، كان يقول قرأناها لله وتركناها لله.[3]

ثقافته :

- **العوامل المؤثّرة في ثقافة الفكّون :**

نشأ الشيخ الفكون في حضن والده بعدما توفي جدّه كما أسلفنا وقد بدأ رحلة طلب العلم بحفظ القرآن الكريم الذي كان قاعدة التعلم في المغرب الإسلامي في هذه الفترة وقد ذكر الفكون عند حديثه عن أبي العبّاس أحمد بن ثلجون أنّه قرأ عن خاله ، أبي القاسم بن عيسى الملقب بثلجون وهو من قبائل زواوة.[4]

نشأالفكون نشأة عصاميّة في تعليمه عند صغره لقد كان بعض أجداده قرأ في تونس وتولّى فيها التدريس والخطابة والإمامة ولكن ذلك كان أيّام تبعيّة قسنطينة للحفصيين، أمّا هو فلا

[1]-المصدرنفسه ، ص 76 .

[2]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 202 – 203 .

[3]- أبي سالم العياشي ، الرحلة العيّاشيّة (ماء الموائد) ، تحقيق محمّد حجي الرّباط ، 1977 ، ط 2 ، ص 390 – 391 .

[4]- عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ، ص 208 .

نعلم أنّه ذهب إلى وجهة من أجل العلم في قسنطينة ذلك أنّه في عهده قلت الرّحلات العلميّة بين المدينتين قسنطينة وتونس، وتوطّد الانفصال السياسي بينهما وتقلّصت إلى حدّ كبير المبادلات التّجاريّة والزيّارات وغيرها ، ولا نعلم أن الفكّون رحل إلى المشرق طلبًا للعلم في صغره أمّا في كبره فقد كان يتوّجه إلى المشرق كأمير لركب الحجّ ، لا كطالب علم ، حقيقة أننا نجده يفكّر في الهجرة إلى الحجاز وهو يافع إذ كان متبرّما من أحوال بلده ، وأهلها ، ولكنّه عدل عن ذلك ورضي بالإقامة في وطنه مستندًا إلى حديث شريف جعله يعتقد أنّ أهون الشرّ هو عدم الهجرة إذ يكون البلد الذي يهاجر إليه أكثر من البلد الذي هاجر منه.[1]

ولكن رغم تبرّم الفكون من عصره ونعيه العلم والعلماء إلاّ أنّ الحياة العلميّة كانت موجودة فقد ذكر الفكون جماعة من العلماء قريبي العهد بالفترة التي عاش فيها من هؤلاء الشيخ أبي حفض عمر الوزان والذي بدأ به الفكون في تراجم المنشور ، فهو شيخ الزّمان وياقوته العصر والأوان، العالم العارف بالله الرباني توفي عام 965 هـ وكان الوزان شبيه لجدّ الفكون الحفيد.[2] ، وقد خلّف الوزان مجموعة من المؤلّفات منها:

1. البضاعة المزجاة .
2. الرّد على الشابية المرابط عرفه القيرواني وصحبه وهو كتاب جامع مد فيه النّفس فيما يُعلم أنه من أهل التصوّف .
3. فتاوى في الفقه والكلام .[3]
4. حاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي .
5. تعليق على مختصر خليل.[4]

[1]- عبد الكريمالفكّون ، منشور الهداية ، ص 10 .

[2]- المصدرنفسه ، ص 48 .

3- أحمد بابا التمبكتي ، نيل الانتهاج بتطريز الديباج ، كليّة الدّعوة الإسلاميّة طرابلس ، ط 1 ، 1989 ، ص 197 .

[4]- أحمد بابا ،التمبكتي ، مرجع سابق ، ص 197 .

ويذكر الفكون أنّ الوزان قد ترك طريق التصوف ورجع إلى دراسة الحديث ، وهو نفس مذهب عبد الرحمان الأخضري الذي انتقد انحرافات أهل التصوف في منظومته المعروفة بالقدسيّة ، وقد ذكر الفكون مقتطفات منها في المنشور ، كما ذكر مشايخ آخرين ، مثل محمّد الكماد ، ومحمّد العطار ، وأحمد الغربي ، ووالد جدّه وكذا جده (يحيى وعبد الكريم) ، وعمّه قاسم الفكون وعبد اللطيف المسبح ، وحميدة بن باديس ، ومحمّد التواتي وغيرهم من المشايخ الذين أسهموا في الحياة العلميّة سواء بالتأليف أو الانتصاب للتدريس.[1]

ونشير أن الكتب كانت مصدرًا من مصادر التعليم فعند مطالعتنا للفتاوى والنّوازل ومختلف القضايا فإننا سنجد أسماء كثير من التأليف في العلوم الشرعيّة ، خاصة الفقه المالكي وغيره منها : كتاب "المدوّنة " لسحنون ، و"الحاوي في الفتاوى" للبزار ت 844 هـ ، و"مختصر خليل" ، و"مختصر بن الحاجب في الفقه" ، و"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" ، و"رسالة بن أبي القيرواني" ، و"العقيدة الصغرى" للسنوسي ، وكتاب "الشفاء" للقاضي عيّاض ، و"دلائل الخيرات" لمحمّد بن سليمان الجزولي ، وكتاب "التوضيح" لخليل و"حلية الأولياء"لأبي نعيم الأصفهاني ، و"الحكم العطائية" لابن عطاء الله السكندري، و"القدسيّة" للأخضري ، و"المدخل" لابن الحاج ، و"تأسيس القواعد والأصول" لرزوق ، و"فتاوى العقباني" ، و"ابن مرزوق" و"المعيار" للونشريسي ، وغيرها.

كان عهد الفكون بالإمامة مبكرًا فقد كان والده يستخلفه للصلاة بالجامع الأعظم بعدما كان يستخلف أبي العباس أحمد الميلي ، فحنق هذاالأخير على عبد الكريم وصار يستهزئ به مشافهة في جمع من الطلبة لصغره ، وعدم تضلّعه إذ ذاك في العلم ، ويشنع عند الخاصة أنه بسن من لا تجوز صلاته لصغره ، وكما هو زمن الكهولة لمّا كنت زمن الصبا فكان من لطف الله ورعايته أن لم يمكث حتّى جثا بين يدي جثو الصبي للمعلّم .[2]

[1]- عبد الكريمالفكون ، مصدر سابق ، انظر الفصل الأول منه .

[2]- عبدالكريم الفكون ، مرجع سابق ، ص 95 .

وذكر الفكون الفقيه النحوي أبي عبد الله محمّد بن راشد الزواوي ، قدم من زواوة ونزل في زاوية الفكون ، ودرس على الشيخ التواتي ، المرادي وكان يناظر عليه أحد طلبة الشيخ التواتي وهو أبو العباس أحمد بن ثلجون وكان الفكون لفصاحة لسانه يمسك له الكتاب ويقرأه عليه للمناظرة لسرعة إخراجه للخط ، وعدم توقفه فيه ، ولم تكن له قوة فهم ولا إدراك إلاّ ما كان ينظر دالة المختصر الخليلي من البيوع وكان إذ ذاك يقرأه على شيخه أبي الربيع سليمان ، وكان يفكها له صاحبه أبا عبد الله محمّد بن راشد من كتاب "التوضيح" لاعتناء أهل زواوة بقراءته.[1]

وقد قرأ الشيخ الآجروميّة وحدها على أبي الربيع لكنّه لم يحصل على طائل إلاّ على رفع الفاعل ونصب المفعول ، وخفض المجرور ولم يكن بقدر على التفريق بين ذلك وما لا بسه من جهة المعنى حتى حصل له بداية الفتح الإلهي من أجل المناظرة المذكورة ،[2] وأصبح الشيخ يحب حضور مجالس الشيخ التواتي حتى أن الله ألقى في قلبه هيبة وإجلالا له فنراه في مجلسه كالأسد وأصحابه الأشبال ، وكانت سيرة التواتي إعطاء الأذن الصماء للسائلين ولا يرفع لسؤالهم ، وزنا ولعلّ ذلك خوفا من أن يكون منهم تعنّتًا ، فأعطى للعلم حقه والشيخوخة منصبها ، وقد شكى الفكون عبوس وانقباض التواتي عنه في مجلسه فيقول له ابن راشد احضر ولا تسأل.[3]

وقد ذكر الشيخ مناظرة في النحو بين التواتي وابن راشد ، وكثيرًا ما كان يلجأ التواتي إلى سب بن راشد وإخراج سيء القول له ، وربّما يتكلّم في المجلس من كلام السفهاء لما يحمله الغضب والانزعاج ، وربّما يقوم من المجلس غضبًا المرة بعد المرة ويبطل درس ذلك اليوم وقد شعر الفكون من مخالطته للتواتي أنّه لم يكن يحمل البحث ولا يرضاه ويضيق به ذرعًا ، وجعل قوّة عمله حفظ ما يلقيه لأصحابه .

ويواصل الشيخ وصف مجلس التواتي إذ يقول :"ولم أزل على هذا الأمر مع الشيخ إلى أن قدّر الله غياب ممسك الكتاب للدرس فلم يأتي يوم من الأيّام ، فأعطى الكتاب لأبي العبّاس أحمد بن

[1]- المصدر نفسه ، ص 105 – 106 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 106 .

[3]- عبدالكريم الفكون ، منشور الهداية ، ص 107 .

ثلجون فكان بطيء القراءة ، وكان ابن راشد يقول له أعطى الكتاب لفلان يعني الفكون وهو يظهر الكراهيّة ، فأعطاه لأبي العباس الميلي فكان أبطأ من الأول ، فاضطر الأمر إلى أن يعطيه للفكون عن كراهة منه".[1]

فلمّا أخذتُ الكتاب وقرأته بسط الله لساني بقراءته فكأنني إذ ذاك كاتبه في سرعة القراءة ومتانة ضبط الكلمات ، واتساق نظامها ، فكان أن أصبح الفكون القارئ في الكتاب ، ولما عاد القارئ السابق ، لم يعجبه الأمر ففارق الدرس حنقًا وبغضًا وحسدًا ، وذكر أن هذا القارئ من الحضر

ومن ولد أبي عبد الله بن نعمون المسمى محمد .

بِأَبِهِ اقتدى عديٌّ في الكرم ومن يشبه أبَهُ فما ظلم[2]

وقد ذكر الفكون ما حدث بينه وبين إبراهيم الفلاري التونسي الذي نزل قسنطينة وكان يدّعي معرفة النّحو ، واستطال به على أهل البلد قسنطينة وكان يستصغر جانب الشيخ التواتي في النحو ويرى لنفسه التقدّم عليه فيه وشاهد الحال والمقال لا يوافقه وقد امتحن الفلاري الشيخ الفكون ، بعدما كان عائدًا من الكتّاب إلى الدّار فقال له ما الجامع بين قوله تعالى :

﴿فِيهِآيَاتُبَيِّنَاتٌمَّقَامُإِبْرَاهِيمَوَمَندَخَلَهُكَانَآمِنًا﴾[3].

وبين قول الشاعر :

كانت حنفيّة ثلاثًا فثلثهم من العبيد وثلث من موالها

[1]- المصدر نفسه ، ص 108 .

[2]- عبد الكريمالفكون ، مصدر سابق ، ص 109 .

[3]- سورة آل عمران ، الآية رقم 97 .

فسكت الفكون واشتدّ به الخجل ، لكن نفسه الأبية رغم صغر سنّه جعلته لا يجبُ أن يكون خلي من معرفة ما عرفه غيره ، فاشتدّت فرحته في طلب العلم اشتدادًا عظيمًا ، ثمّ بحث في مغنى اللبيب[1] لابن هشام في النحو فلمّا أعاد الفلاري استفزازه قال له ، أجبني عن قول الشاعر:

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وَأْيَ مَنْ أضمرتْ لخلٍّ وفاء

ما إعرابه وما معناه؟ فسقط في يده وبهت من ساعته ولم يرد لي جوابًا[2] وفي اليوم الموالي زار الفلاريالفكون وقال له والله لأنت أحسن فقهاء بلدكم إنّما فعلت ذلك معك لأعرف كنه عقلك وقد أجاب كلّ منهما على ما أُشْكل على الآخر.[3]

شيوخه :

- قرأ الفكون على الشيخ التواتي (المرادي) سنة 1031 مرارا و (شرح ألفيه بن مالك) وعقائد السنوسي بشرحها وابن الحاجب بمطالعة التوضيح عليه ، والتذكرة للقرطبي وحضره للتفسير نحو 10 أحزاب ، وكتاب مسلم بن الحجاج بمطالعة الأُبِّي ، كما قرأ عليه حاشيته "جمع التكسير على المرادي له" و"مباحثات في الإعراب" للسيوطي.[4]

- قرأ أيضًا بعض مسائل الاضطراب وبعض من الفرائض على محمّد الفاسي ، الذي قدم من فاس ونزل بمدرسة الفكون وذكر أنه ناقشه فرأى منه قصورًا سوى ضوابط معه وقد فتح عليه السنوسي شارح (زمام الرائض في علم الفرائض) للحوفي فلم يجد لهذا الشيخ معرفة في معاني الألفاظ ، ولا بالصناعة الكسوريّة فأطبق الكتاب لما تيقّن من عجزه وطالعه وحده ففتح الله في عمل الفريضة بالطريقة الكسريّة.[5]

- كما قرأ على الشيخ أبي ربيع سليمان بن أحمد القشّي من بلدة نقاوس وانتقل إلى

---

[1]- مغني اللبيب في النحو لابن هشام (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري) المتوفى سنة 761 هـ .

[2]-عبد الكريم الفكون ، مصدر سابق ، ص 110 – 111 .

[3]- المصدر نفسه ، ص ص 111 – 110 .

[4]- عبد الكريم الفكون ، مصدر سابق ، 59 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 61 .

قسنطينة حيث درس على الفكونالجد ، ثمّ قصد الحجاز لكنّه توقف بمصر حيث قرأ على عالمها سالم السنهوري مختصرخليل والرّسالة والألفيّة وألفيّة العراقي في الحديث ، ثمّ رجع إلى قسنطينة حيث قرأ عليه شرح الصغرى ، وقطر الندى والأجروميّة بشرح جبريل ، وبعض أوائل الألفيّة

- قرأ على أبي عبد الله محمّد بن راشد الزواوي.
- قرأ على أبي فارس عبد العزيز النفاتي الذي قرأ بتونس على الشيخ الشّريف النجّار.[1]

هذه هي العوامل التي صاغت شخصيّة الفكّون العلميّة وكان لا بدّ أن يبلغ العلم الذي حازه خاصة وهو يرى أن الجهل قد انتشر وأن أدعياء العلم كثر ، وأن العلماء العاملين قد قلّ عددهم ، وخفتت أصواتهم وقد قرر هذه الحالة خاصة في كتابه "محدد السنان في نحور إخوان الدخان".

تلاميذه :

مارس الفكون التدريس في مسجد المدينة وزاوية آل الفكون التي يبدو بأنّها كانت من بين من تستقبل طلبة العلم فالزاوية بها إقامة للطلبة وقد استقرّ بها محمّد بن راشد الزواوي وربّما استقبل الشيخ ببيته سواء بغرض الزيارة أو طلب العلم[2]

ولم يكن عبد الكريم الفكون يأخذ أجر التعليم بل كان هو الذي يتكفّل بالنفقة على طلبة العلم ، فقد ذكر ثلاثًا من طلبة العلم منهم اثنان من جبل زواوة فقال:" وقصد بذلك صاحبنا أبو العبّاس تخفيف المؤونة على عامله الله بالحسنى فأجريت لهم ثلاثتهم المؤونة"[3]

وقد تخرّج على يد الفكون كثير من العلماء الكبار لعلّ من أشهرهم أبي مهدي عيسى الثعالبي من موطن الثعالبية توفي عام 1080 هـ ، تلقى العلم بمسقط رأسه ثمّ رحل إلى الجزائر، وقد تتلمذ على سعيد قدورة وعلى بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[4]، لكن بعض الأحداث

---

[1]- المصدر نفسه ، ص ص 60-61 .

[2]- عبد الكريمالفكون ، منشور الهداية ، ص 97-98 .

[3]- المصدرنفسه ، ص 204 .

[4]- - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ط1، 1998،ج1، ص ص 52_53 .

أهمّها وفاة شيخه الأنصاري بالطاعون علم 1057 وثورة بني الصخري في الشرق الجزائري ، والثورات ضدّ الباشا يوسف الذي كان مقرّبًا للثعالبي ورميه في السّجن ، جعل الثعالبي خائفًا على نفسه فتوجّه إلى قسنطينة وإن لم يطل مقامه بها ، لعدم استقرارها ولا شكّ أنّه قد اتّصل فيها بالشيخ عبد الكريم الفكون وروي عنه الحديث ونحوه ولكنه لم يلبث أن غادر قسنطينة ، وقد ظلّ منتقلا بين قسنطينة وزواوة وبسكرة إلى أن غادر الجزائر سنة 1061 هـ قاصدًا الحجّ.[1]

ومن أبرز مؤلّفات الثعالبي "كنز الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع".[2]

وقد أورد الثعالبي مرويّات الفكون في كنزه[3]، ووصف العياشي (كنز الرواة) بأنه أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها.[4]

- أبي سالم العياشي ، لم يذكر العياشي ما قرأه وإن كان قد لخص لنا أهم ما اطلع عليه

من مؤلّفاته منها (محدّد السنان في نحور إخوان الدخان)،(والدّيوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلّم) وذكر أنه قرأ عليه بعض كتاب الموطّأ للإمام مالك ، والصحيحين والسنن الأربعة (البخاري ومسلم) والنسائي والترميذي وابن ماجة وأبي داوود وطرفًا من الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي والشفاء للقاضي عيّاض ، والشهاب القضاعي وبعضا من رباعيات أبي عوانة ومن نظم أصول السلمي لزروق وغنيمة الوافد لعبد الرحمان الثعالبي ، كما أخذ عليه التصوف حيث قال: كانت لنا به ﷺ وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح ، لما حججت سنة أربع وستين و ألف. إذ قال لي رضي الله لما طلبت من الاتصال بحضرته ، والانخراط في سلك أهل خدمته ، أني أقول لك كما قال الشاذلي: لك ما لنا من الخدمة وعليك وما علينا من الرّحمة. كما قرأ عليه يحي الشاوي من أهل مليانة[5] وقد أجازه الشيخ عبد الكريم الفكون وغيره من فطاحل علماء العصر[1]

[1]- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 54 .

[2]-العياشي أبو سالم : الرّحلة العياشيّة ، ج2 ، ص 173 .

[3]-العياشي أبو سالم ، مرجع سابق ، ص 391 .

[4]-عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ،تحقيق إحيانعباس،دار الغرب الإسلامي،لبنان1982، ط2،ج2 ، ص ص 501-502 .

[5]-العياشي أبو سالم، الرّحلة العيّاشيّة ، ص ص 390 6 391 .

- بركات بن باديس القسنطينيذكر أستاذهالفكون في تقييده(نزع الجلباب) كما ذكر له جواب عن لغز السيوطي في إحدى مسائل النحو.[2]

- أبي عبد الله محمّد البوزيدي ، سأله عن بعض مسائل فقه فكان يقيد له أجوبتها.[3]

- الشيخ مخلوف قرأ على الفكون النحو ثمّ ترك العلم وراح يأخذ يشتغل بالتصوف العلمي.

- محمّد الهاروني أصله من زاوية ولاد هارون بمتيجه وطن من عماله الجزائر قدم إلى قسنطينة عام 1022 هـ وجد الفكون في حال بناء داره الجديدة . وأبو عبد الله البهلولي وأبو القاسم بن يحيى من جيل زواوةقرؤوا المرادي على الألفيّة ففتح الله في تلك القراءة بأبحاث ووارد أفكار ما أعجب الجميع نظرًا واستدلالا فلما حصل الختم في التأليف طلبوا الشيخ القراءة في غيره فمنعهم ،وقد قال عن أبي عبد الله أصبح له أتباع وتلامذة وحق له ذلك لما له من قوّة الفطنة ، وقبول البحث وواسع العارضة وفصاحة اللسان .

- عاشور القسنطيني كان يحضر الإقراء على الألفيّة فربّما يسأل المرّات فكان الشيخ لا يرد له الجواب لبلادته، فكان دائمًا يستشكل المسائل نحوًا وفقها وكلامًا ، يأتي إلى الشيخ بها مرة ببطاقة ومرّة بالكتاب نفسه ، ومرّة مشافهة ، وقد رحل إلى تونس[4].

- أبو عمران موسى الفكريين ، قرأ على التواتي وبعد وفاته انتقل هو وجمع من الطلبة للقراءة على الفكون فدرس عليه المرادي في النحو ثمّ انقطع عنه لخلاف بينهما.[5]

- علي بن عثمان الشريف من قبيلة بني تبرون بزواوة وجده مريضا أعي الأطباء عام

---

[1]- عبد الرحمان جيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1974،ط7، ج 3 ، ص 173 .

[2]- أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 523 .

[3]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 113 .

[4]- عبد الكريمالفكون ، منشور الهداية ، ص 94 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 93 .

1028 فلازمه وقرأ عليه المكودي والمرادي فانصرف من عنده وهو نجيب في العربية بعدما كانت ملكته ضعيفة فيها فأجازه ن وبلغه أنّه أصبح صاحب درس عظيم ،وغنى ، كان يطعم الطلبة من عنده[1]

- أحمد بن ثلجون كان فطنا لبيبا أريبا ذا عقل وزي حسن رجع رجوعا حسنا في شيبته قرأ على الشيخ "ابن الحاجب" وعلم الكلام ، والرّسالة ، والنّحو والمرادي وغيره وصحيح البخاري كان مجالسا مؤانسًا ، نعم الجليس ونعم الأنيس مع رزانة وعدم طيش طلقَ اللسان فصيح الكلام ذا حظ حسن ورونق وبهاء كان يؤانسه في أيّام مرضه ويحادثه ليخفف عنه مرضه ، ويصاحبه إلى المسجد الأعظم ، وقد توفي بالطاعون عام 1031 هـ.[2]

- محمّد البوقلمامي ، كان ذا عقل جيّد وفكر رصين ، بطيء الفهم ، ثقة فيما يفهمه صالح الحال ، يحبُّ الطلبة ويواسيهم بماله ، كان ملازما للقراءة على الشيخ ، جاد لا يعرف الهزل ناطقًا بالحق ، توفي جرّاء طاعون 1031 المذكور .

- أبو عبد الله محمّد بن باديس : كان يقرأ على الشيخ التواتي وبعد ارتحاله استقر للقراءة على الفكون وهو من موثقي البلدة ممن يشار إليه.[3]

- محمّد الفكيرين أخ عاشور الفكيرين كان صغيرًا مجتهدًا.

- علي بن داوود الصنهاجي ، تقلّد منصب الفتوى بقسنطينة قرأ على سالم السنهوري ويذكر أنّه أجازه وقرأ على الفكونتواليف في النحو كالقطر ونحوه.[4]

- أحمد الميلي ، ممن تعاطى خطة الشهادة قرأ على التواتيوالفكون الجد ومحمّد بن حسن كان إذا رأيته حسبته فطنا وإذا باحثته تجده بليدا يحفظ مسائل غراب ، ومشكلات صعاب ليقطع بها من يريد معارضته حتى سماه التواتيكبيش النطّاح ، درس على الفكون المرادي وربّما ساعده في حلّ إشكالات تطرح عليه أثناء قراءته كتب الحديث.[1]

---

[1]-المصدر نفسه ، ص ص 205-207 .

[2]- عبد الكريم الفكون ، مرجع سابق ، ص ص 207 – 208 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 209 .

[4]- المصدر نفسه ، ص ص 92 6 93 .

مؤلفاته :

ألّف الفكون مجموعة من الكتب والكتيبات التي يسميها تقاييد أو رسائل ، وقد ألّفها جميعًا فيما يبدو قبل توليه وظائف أبيه ، و بعض أعماله تقع في مجلّد وبعضها لا يتجاوز الكراسة أو الاثنين ، وسأورد قائمة أعماله كما وردت في المصادر وسأعرض قائمة إنتاج الفكون كالآتي:

1. (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية)، ألفه بعد 1045 .
2. محدد السنان في نحور إخوان الدخان ، انتهى منه سنة 1025 .
3. ديوان شعر ، في المديح النبوي ، انتهى منه سنة 1031 .
4. تقييد ، ذكر فيه مرضه سنة 1025-1028 ، وأشار إليه في منشور الهداية قائلًا عن المرض " وتلونه وعدم ثبات مجيئه على صفة واحدة ، هو الذي أوجب تقييده في غير هذا"
5. شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض أو العدة في عقب الفرج بعد الشدّة ، نظم له ذكره في منشور الهداية [2]، موضّحا أنه غير الديوان المذكور ، وهو توسّل بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وبأصحابه والتابعين والفقهاء والأولياء، أوله:

بك اللهم مبدي الخلق طرا توسّلي

وفي كل أزماتي عليك معولي

6. مجموعة خطب ، أشار إليها في منشور الهداية عند الحديث عن الخطبة التي كتبها لأحد معاصريه (وهو أحمد بن باديس) قائلا عنها وهي "مذكورة مع جملة الخطب التي ألفتها في غير هذا" [2]
7. سربال الردّة في جعل السبعين لرواة الإقراء عدة ، وهو كراسة في واقعة وقعت له مع

---

[1]- المصدر نفسه ، ص95 .

[2]- عبدالكريم الفكون ، منشور الهداية ، ص 243 .

[2]- أبو القاسم سعد الله،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،1986، ط1،ص ص 145،146

أحد معاصريه ، وهو حميدة (أحمد) بن حسن الغربي، المتوفي سنة 1030. أشار إليه في منشور الهداية ، وقال "إن سببها مذكور فيها ، فمن أراده فلينظرهمنها"دون أن يوجه.

8. تقييد في كرامات الشيخ عمر الوزان ، أشار إليه في منشور الهداية ، غير أنّه لم يذكر أنه ألفه وإنّما تمنى على الله أن يقوم بذلك.

9. نظم الدرر على شرح المختصر ، ويقصد به الشرح الذي وضعه على مختصر الشيخ عبد الرحمان الاخضري (يسميه عبد الرحمان بن صغير) . أشار إلى ذلك في 1 و50 من منشور الهداية . وكان عبد اللطيف المسبح هو الذي وضع الشرح الأول على مختصر الأخضري ، ولكن الفكون لم يعجبه ذلك، وتولى هو ذلك بنفسه . وليس واضحا ما إذا كان الفكون قد قام يعمل شرح كله من عنده أو أنه أضاف فقط تعاليق على شرح المسبح ، فهو يقول إنّه نبه في عمله هذا على "فوائد فيه لم توجد في المطولات ، ونكت حسان قل أن تلقى في غيره ، وتنبيهات أخذناها من فحوى خطابه وفروع كملنا بها ما لم يفصح به كلامه" ، وأشار إليه أيضا في (محدد السنان) ، ص 07 ، عند حديثه عن محمد السوسي المغربي بقوله " وهو صاحب الوقائع التي نقلنا بعضها عند الكلام عليها في تأليفنا المسمى بالدرر في شرح مختصر الشيخ الصالح أبي زيد عبد الرحمان بن صغير....."، وأوضح أنّ (نظم الدرر) قد ألفه قبل (محدد السنان)، أي قبل سنة 1025.وكان السوسي قد توفي سنة 1023 . وهو مرة يسميه (نظم الدرر) ومرّة (الدرر)

10. تقييد في مسالة حبس ، يقع في كراسه . وأشار إليه وإلى مناسبته في منشور الهداية ص 41 . وقد أخبر عن مناسبة هذا التأليف أن الشيخ يحيى بن محجوبة الذي كان من جيل جده ووالده عزم على فسخ حبس (وقف) تقرّبا لقائد قسنطينة عندئذ، محمد بن فرحات.[1]

فنازعه والد الفكون والشيخ التواتي وغيرهما في ذلك ولكنه لم يقبل منهم .فألفالفكون تأليفه المذكور ، ولكنه لم يخبرنا ما إذا كان قد انتصر على ابن محجوبة فلم يفسخ الحبس أم لا .

11. سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل ، قصيدة أوّلها:

بأسمائك اللهم أبدي توسلا

فحقق رجائي يا إلهي تفضلا

1- أبو القاسم سعد الله،المرجعالسابق،ص ص 147-148

أشار إليها من منشور الهداية ، ص 241 ، ونسخها منه تلميذه محمد وارث الهاروني المتيجي ، واعتمد عليها في دفع ظلم عمّه الذي اشتكى منه للفكون ، كما استنسخها منه المغاربة."فهي شهيرة بينهم " (وهو يطلق كلمة الغرب والمغرب على إقليم الجزائر ووهران والمغرب الأقصى).وكان قد نظمها في الشيخ محمد بن نعمون .

12.شرح مخارج الحروف من الشاطبية(في القراءات وهي المنظومة المسماة "حرز الماني ووجه التهاني") ذكره له العياشي في رحلته 206/2 ، وعيسى الثعالبي ، تلميذ الفكون ، في (كنز الرواة).

13. شرح على "إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" لا نؤكّد أنه ألفه ، ولكنّه وعد به صاحبه أحمد المقري في رسالة بعثها إليه سنة 1038 . ومعروف أن (إضاءة الدجنة) من تأليف أحمد المقري وهي في علم الكلام . انظر رسالة الفكون للمقري في (نفخ الطيب ، 238/3.

14.فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف . ألفه سنة 1048 ، ذكره له العياشي في الرّحلة 206/2 ، والثعالبي في (كنز الرواة) ، وسماه فيه (البسط والتعريف) ، وقد اطلع سعد الله على نسخة من هذا الكتاب وقد وصفها في كتابه

15. فتح المالك ، أشار إليه عدّة مرات في كتابه (فتح اللطيف) مما يدل على أنه ألفه قبل سنة 1048 . والظاهر أنه شرح على لامية ابن مالك في التصريف ، وهو يذكر صاحب اللامية أحيانًا باسم صاحب (التسهيل) ، وهو يحيل قارئ (فتح اللطيف) عليه فيقول: عليك به ، فقد ذكرت فيه كذا وكذا من المباحث.[1]

16. شرح على شواهد الشريف بن يعلى علي الآجرومية ، التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد معنى وإعرابا ، وقد أشار إلى وجود هذا الكتاب كل من العياشي والثعالبي في المصدر المذكور آنفًا . ولم يشر إليه الفكون نفسه فيكتبه وآخرها (فتح اللطيف) الذي ألفه سنة 1048 فيكون من الراجح أن شرحه على (شواهد الشريف بن يعلى) قد ألف بعد هذا التاريخ .

[1]- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق، ص 148-149-150-151

17. فتح الهادي في شرح جمل المجرادي ، ولم يذكره الفكون في كتبه التي بين أيدينا فيما نعلم ، مما يرجح أنه قد يكون ألفه أيضًا بعد 1048 وهو تاريخ لكتاب نعرفه له ، ولكن (شرح الجمل) ذكره كل من الثعالبي والعياشي في المصدر المذكور ،دون عبارة (فتح الهادي) ، كما ذكره فايساتعلى أنه (شرح على جمل المجرادي)

وهذه هي بعض الأسماء التي وجدت من مؤلّفات ذكرها بنفسه أو نسبها إليه تلاميذه كالعيّاشي والثعالبي .[1]

المبحث الثاني: عرض لكتاب منشورالهداية

1-وصف الكتاب :

1-1.منشورالهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية

يعتبر منشور الهداية أفضل ما ألف الفكون ، بل أفضل الكتب المؤلّفة في العهد العثماني بالجزائر , فهو ليس كتاب تراجم بالمعنى المتعارف عليه لدى كتاب التراجم ، وليس تخليدا لملك أو أمير أو باشا كما فعل بعض كتاب ذلك العصر ، وليس كتابًا في التصوف وأحوال الدراويش والانهزاميّة التي ألّف فيها أيضا بعض مثقّفي تلك الفترة . ولكنّه كتاب في النقد الاجتماعي والنقد السياسي والنقد الديني ، وهو أيضًا كتاب عن أحوال الناس وزعمائهم السياسيين والمثقفين والدينيين ، وعن علاقات هؤلاء جميعًا بعضهم ببعض . إنه وثيقة حيّة هامّة عن حالة ذلك العصر ، وهو يصلح أن يكون نموذجا لما كان شائعًا في العالم الإسلامي كلّه عندئذ ، لأنّ ما فيه من وصف الأحوال والعلاقات والأفكار ليس خاصا بالجزائر .[2]

وقد تكون الكتب الأخرى التي ألّفها الفكون في النحو والصرف والحبس ، وحتى كتابه عن تحريم التدخين ، وديوانه في المديح النبوي-كلّها قد فاتها الوقت وأصبحت تدرس كأعمال مضى عليها الزمن ، أما (منشور الهداية) فإنّه الكتاب الوحيد الذي يرى سعد الله أنه سيظل حيّا خالدا

1-أبو القاسم سعد الله،المرجعالسابق،ص 151

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 167

لعمق أفكار صاحبه فيه واحتوائه على المعلومات الاجتماعية والانسانية التي قل من تعرض لها من قبل بتلك الطريقة.

لم يؤرخ الفكون الانتهاء من تأليف (منشور الهداية) ولكن يغلب على الظن أنه قد ألّفه بعد سنة 1045 لأنه تحدث فيه عن وفاة والده التي وقعت في تلك السنة. وذكر أبو القاسم سعد الله أنه لم يجد تاريخًا آخر بعد هذه السنة . والمعروف أنه تولى هو وظائف أبيه بعد وفاته وزاد عليها إمارة ركب الحج ولقب بمشيخة الإسلام . والمعروف أيضًا أن ثورة ابن الصخري قد وقعت سنة 1047 ، وهي الثورة التي ذكر أبو القاسم سعد الله أنه لم يجدلها ذكرا في منشور (منشور الهداية) رغم تعرّضه لثورات وأحداث أقل منها شأنًا . ورجح أبو القاسم سعد الله أن يكون (منشور الهداية) قد ألف بين 1045 و 1047 . وهل يمكن إذن أن نقول إنّ تاريخ تأليفه هو سنة 1046 ؟ ذلك أقرب الاحتمالات في نظرنا.

ولكن الأمر المحيّر هو أن الفكون ضمن كتابه حديثًا عن أشخاص كانوا أحياء زمن التأليف ، كما يفهم من صيغة الحديث، مثل حديثه عن أحمد المقري(ت1631م) ، بينما نعلم من مصادر أخرى أن هؤلاء الأشخاص قد توفوا قبل ذلك التاريخ المحتمل لتأليف الكتاب، فالمقري مثلاً توفي سنة 1041 ، بينما لا يشير الفكون إلى هذه الوفاة ، ويبقى حديثه عنه في الكتاب بصيغة الحي . وهناك نماذج أخرى على ذلك ، مثل إيراد مراسلاته مع عالمي تونس "إبراهيم الغرياني" و"محمّد تاج العارفين" ، الواقعة سنة 1037 . ويذكر أبو القاسم سعد الله من الاحتمالات احتمالان آخران هما: أن الفكون ألف الكتاب فعلاً حوالي سنة 1046 [1]، ولكنّه ضمنه وثائق المراسلات القديمة بتواريخها المتقدّمة ، أو أنّه كان قد بدأ في تأليف الكتاب في تاريخ سابق قد يكون من 1033[2] وظل يزيد عليه ويعمل فيه إلى سنة 1046 . غير أن أبو القاسم سعد اللهيميل إلى الاحتمال الأول ، وهو أنه ألف الكتاب سنة 1046 وضم إليه وثائق متقدّمة وأخبارًا بصيغها القديمة.

[1]- من الأدلّة أيضًا على أن الفكون ألف كتابه قبل سنة 1048 أنه تحدّث عنه في كتابه (فتح اللطيف) بصيغة الماضي قائلاً : "وقد ذكرنا في تأليفنا منشور الهداية..." كذا وكذا .

[2]-أبو القاسم سعد الله،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ص صص 167-168-169

مخطوط ترجم فيه (الفكون) لشيوخه من العلماء الصالحين ومن عاصرهم ممن ادعى الولاية والعلم واتصل بالأمراء ورام الدنيا. وترجم كذلك فيه لبعض تلاميذه وأصحابه . وفيه تراجم لوالده وجده وأحمد المقري وبعض عائلات قسنطينة ، مثل المسبح والموهوب وابن باديس والحركاتي ، وابن نعمون ، وابن ثلجون ، وغيرهم .وهو في الواقع (كتاب) عن تراجم علماء قسنطينة في القرنين العاشر والحادي عشر ، مع ذكر بعض وفياتهم، والكتاب يحتوي على 294 صفحة ، والغالب أنه بخط المؤلف وخطه جيد . وفيه استطرادات وأخبار هامة عن الكتب والسياسة والأحوال الاجتماعية و العلمية . والواقع أنأبو القاسم سعد الله مايزالعلى نفس الرّأي اليوم فالكتاب، كما أشرنا في البداية ، وثيقة لا غنى عنها لدارس الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في القرنين العاشر والحادي عشر (16 ، 17م) بل إن أهميته تمتد إلى وقتنا الحاضر لأن معظم العائلات والأفكار والاتجاهات والزوايا التي ذكرها ما تزال موجودة بيننا.

ولقد أحصى سعد الله ما فيه من تراجم فوجدها حوالي ثمانين ترجمة ، وخلص إلى أن الفكون لا يترجم للأشخاص بالطريقة المعتادة من ذكر الميلاد والوفاة والشيوخ والوظائف والتلاميذ والتآليف والكرامات والمناقب ونحو ذلك . إنه لا يتبع هذه الطريقة على الإطلاق ، بل إنه يتناول أحوال الأشخاص فيصفهم فيما كانوا عليه ، في نظره ، من الصلاح أو الطلاح ، ويتحدّث عن نشاطهم الاجتماعي وعلاقاتهم مع بعضهم ومع السلطة ومع الناس ، ويخبر عن عقائدهم وأطماعهم وتنافسهم في الخير والشر ، وعن قوتهم وضعفهم أمام المغريات السياسية والمالية والشيطانية ، وعن نشاطهم العلمي إذا كانوا من العلماء وعن نشاطهم الصوفي إذا كانوا من المتصوّفة ، وعن مغامراتهم إذا كانوا من المغامرين ، وهكذا .[1]

فالفكون إذن لا يترجم لأهل القرنين السابقين ولكنه يسجل عنهم انطباعاته وانطباعات من عرفوهم إذا كان لم يرهم، وكثيرًا ما يترك مكان الوفيات بياضًا ، أما تواريخ الميلاد فقليلًا ما تذكر ، لأن ذلك لم يكن هدفه أصلًا.

وقد اختلفت هذه الانطباعات طولاً وقصرًا وعمقًا . فبعض أحاديثه تطول وتتعمق حتى تصل عدة صفحات ، وبعض أحاديثه تكون من القصر بحيث لا تتجاوز السطور. ولكنّه مع ذلك

1-أبو القاسم سعد الله،المرجعالسابق،ص ص ص 170-171-172

يضع فيها من المعاني ما يكفي لمجلد . وقد يستطرد فيدمج الحديث عن شخص ما أثناء الحديث عن شخصية رئيسية أخرى. وقد يذكر مجموعة من الأخبار في الخبر الأساسي . وقد يصرح حتى كأنه يرمي هدفه بسهامه الناريّة ، وقد يكتفي بالتلميح حتى كأنه يقول لنا عليكم بإكمال الباقي وفهم الواقع وربط الحالات ببعضها ، وهو في أحاديثه هذه لا ينطلق من مصلحة ذاتيّة إلاّ قليلًا . ولكنّه ينطلق من المصلحة العامة ، كالغيرة على الدين والأخلاق والعقل البشري . وهو يبكي هبوط أحوال المسلمين وانتشار الشعوذة بينهم وفساد الدين على أيدي زعمائهم وشيوع الرشوة لدى أرباب السلطة والقضاة والعلماء والدراويش، وقلة الأمن في المدينة وفي الريف. وهو يتحسر أثناء تراجمه كلّها تقريبا على فساد الخاصة ورقاد العامة ، وهو الموضوع الرئيسي الذي يكاد يتكرر في كلّ صفحة من صفحات الكتاب. ونحن وإن كنّا سنورد نص مقدّمة هذا الكتاب في قسم النصوص ، فإننا نسوق عبارته هنا في الباعث على تأليفه ، فليتأمل القارئ معنا هذا النص وليتذكر أن روح النص موجودة في كلّ ثنايا الكتاب كما أشرنا.[1]

2-سبب تأليف الكتاب :

أما بعد ، فلمّا رأيت الزمان بأهله تعثر ، وسفائن النجاة (كذا) من أمواج البدع تتكسر ، وسحائب الجهل قد أظلت، وأسواق العلم قد كسدت ، فصار الجاهل رئيسًا ، والعالم في منزلة يدعي من أجلها خسيسًا ، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروائح السلب والطرد من المولى عليه فائحة ، إلاّ أنّهم ، أعني الطائفتين ، تمسّكوا من دنياهم بمناصب شرعيّة ، وحالات كانت قدمًا للسادة الصوفيّة ، فموهوا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها ، وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصارها ، لبسوا بانتحالهم لها على أهل العصر إنّهم من أهلها ... كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم أن يذكروا في معرضهم ، وغيرة على جناب السادة الأولياء الصوفيّة أن تكون أراذل العامة وأنذال الحمقى المغرورين أن يتّسموا بأسمائهم أو يظن بهم اللحوق بآثارهم. ولم آل في التنفير من كلتا الطائفتين والتحذير منهم في كلّ زمان وأوان ، وبين كلّ

[1]-أبو القاسم سعد الله،المرجعالسابق،ص ص ص 170-171-172

صالح من الإخوان ، إلى أن أحسست لسان القول قد أنطق بنسبة ما لا يليق ذكره من أفواههم ، فشرح الله صدري في أن اعتكف على تقييد يبدي عوارهم ويفضح أسرارهم ، ويكون وسيلة إلى الله في الدنيا والأخرى ... فهذا الجهاد الذي هو أحدُ من السيف في نحور أعداء الله ، وناهيك بهم أعداء ... فعظم الباعث على النصح بهذا التقييد ...[1]

إن الفكون يتحدّث دائمًا عن حزبين متميزين متصارعين في عصره ، وهما من يسميهمَا:حزب الله وحزب الشيطان . وأحيانًا يسمى ذلك طائفة الخير وطائفة الشر. وطائفة الشر هذه ذات شقين: شق يضم ادعياء العلماء الذين "سطرت أناملهم في قراطيس السجلات ما يوهم من لم يرهم ممن يأتي في غابر الزمن إنّهم من حزب العلماء ومن مشايخهم الأعلين"، وشقّ يضمّ "الطائفة البدعية " التي أصبحت "مقطعًا للحقوق ، وقسمًا يقسم بهم في البر والعقوق ... وأعلنوا بأن سابق الأقدار منوطة بإرادتهم ... واتخذت أتباعهم ألقابًا لهم باسم الشيخوخة والتحذير من أن يغاضوا أو يتغاضوا ..." هل رأيت إذن أن الفكون كان يحمل عَلَمَ الجهاد في ليل مظلم من الجهل والبدعة والفساد الأخلاقي والسياسي؟ وهل رأيت أنّ دافعه لتأليف كتابه كان الغيرة على حزب الله من العلماء العاملين و الصلحاء السلفيين ؟ وهل رأيت أنه حمل رايته ضدّ أولئك الزنادقة أعداء الله وحزب الشيطان الذين انحرفوا عن الدين باتخاذ الألقاب الرئاسيّة والكهنوت الصوفي وربطوا مصالحهم بمصالح الحكّام الفاسدين؟ وأين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذه الثورة التي أعلنها عبد الكريم الفكون قبله بأكثر من قرن؟ اقرأ معي إن شئت قول الفكون عن المبتدعة في زمانه: "وربّما زاد في إفصاح أحوالهم... إن مات منهم بنوا عليه وشيّدوا بناءات ، وجعلوا عليهم قبابًا من العود وألواحًا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا لهم من الالقاب التي لا تصلح لهم.

إن هذا الكلام ، بل هذه الجملة لم تعجب بدون شكّ علماء ولا متصوّفة عصر الفكون ، وبالطبع لم تعجب أيضًا علماء ولا متصوفة ما بعد عصره لأن الأمور قد زادت سوءًا بعده كما هو معروف . فالجهل عمّ وانتشر ، وغطى السهل والوعر ، والدروشة (وحاشا التصوف) والتدجيل فاض بحرهما وطما زبدهما. ولأمر ما أهمل العياشي ذكر(منشور الهداية) حين عدد كتب الفكون

[1]- من مقدّمة (منشور الهداية)للفكون ،ص 31-32-33

، بينما أطال في النقل من ديوانه في المديح النبوي كما عرفنا، ووصف كتابه في شرح أرجوزة المكودي في التصريف ، بل التدخين . أما الثعالبي فقد اكتفى بقوله وله تأليف في حوادث فقراء الوقت والرد عليهم . وما هو ، كما رأيت ، في "فقراء" الوقت الذين يعني بهم الثعالبي المتصوفة . فالكتاب كما نعلم لا يتحدّث إلاّ جزئيًّا عن هؤلاء الفقراء أو المتصوفة ، ولنكون دقيقين ، لا يتحدّث إلاّ عن صنف منهم . ويبدو أن الشيخين: العياشي والثعالبي ، لم يطلعا أبدًا على كتاب (منشور الهداية) وإنّما سمعا عنه من فقراء الوقت أنفسهم ، ومن غيرهم ، أولئك الذين صدمهم الفكون بكتابه وكشف عوراهم وفضح أسرارهم ، كما قال ، فتألبوا عليه وأسروا البغضاء ورموه بألسنة حداد.[1]

3-محاور الكتاب :

- رتّب الفكون كتابه على النحو التالي :
- مقدمة ذكر فيها الدافع الذي دفعه لتأليفه كما سبقت الإشارة .ثمّ ثلاثة فصول وخاتمة .
- الفصل الأول فجعل عنوانه (فيمن لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم ممن
- نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترًا ، أردنا التنبيه عليهم وذكر ما كانوا عليه وزمانهم وتواريخ وفاتهم). وهذا الفصل ، رغم طول عنوانه ، قصير نسبيًا . وقد ذكر فيه بعض أفراد عائلته أمثال يحيى الفكون وقاسم الفكون وجده عبد الكريم الفكون ووالده محمد الفكون وجده لأمه محمد بن قاسم الشريف . كما ذكر فيه عمر الوزان ، ويحيى الأوراسي ، ومحمد العطار ، وأحمد الغربي ، ومحمد الكماد ، وعلي بن يحيى الياوراري ، وأحمد بن تكفه ، ومحمد بن حسن ، وعبد اللطيف المسبح ، وأحمد (حميدة) المسبح ، وبركات المسبح ، وعلي المرواني ، وعلي الغربي ، وأبو القاسم العطار ، وأحمد بن باديس ، وبركات بن سعيد ، وشيخاه محمد التواتي وسليمان القشي النقاوسي ، وعبد العزيز النفاتي ، ومحمد

[1]- يذكر الفكون في كتابه (فتح اللطيف) إن كتابه (منشور الهداية) قد جلب عليه النقمة والبغض "رمقتني من أجله العيون ، وانعقد على بغضي القلوب وأكثرت الشؤون" ، ولكنّه اعتصم بحبل الله واعتبر عمله جهادًا يجازى عليه في الآخرة .

الفاسي . ولم يذكر تواريخ الوفاة ، كما قال ، إلاّ لعدد قليل منهم . أما البقية فأماكن التواريخ لوفاتهم ظلّت بيضاء في النسخة التي اطلع عليها سعد الله. وكان المفروض أن يذكر تواريخ الوفاة لأن هؤلاء متقدّمون عليه أو توفوا أثناء حياته. أما الذين سيتحدّث عنهم في الفصلين الباقيين والخاتمة فكانوا معاصرين له ومعظمهم كانوا أحياء عند تأليف الكتاب.

- الفصل الثاني فقد جعل عنوانه : (في المتشبهين بالعلماء، وهم الذين قصدنا بهذا التقييد إيضاح أحوالهم) . ومن أجل ذلك كان هذا الفصل أطول من سابقه لأن الفكون أخذ يعالج ما قصده في الكتاب . وقد تحدّث فيه عن مجموعة من الناس لا يتسع الأمر الآن لذكر اسمائهم جميعًا . وقد اطلع سعد الله على المخطوط وأخبرنا أن في صفحة 35 من المخطوط حين بداية الحديث عنهم ما أضافه الفكون نفسه من بيان لما سبق وهو قوله (فيمن تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم ، وهم كل من ادعى ما لا يصح له من خطة وتدريس وغيرهما). وهو يقصد بالمنصب وبالخطة الوظائف الرسميّة كالقضاء والفتوى. وقد افتتح هذا الفصل بالحديث عن يحيى بن محجوبة الذي كان كبير السن ومن معاصري جده ، وأنه فصل في خلاف مع والده (والد الفكون) حول مسألة حبس في مجلس بالجامع الكبير ، مما أزعج الوالد حتى أنه طلب من ابنه (المؤلف) أن يخرج هو للرد على ابن محجوبة ، كما سبق .وعد من هذا الفصل أيضًا جده لامه ، محمد بن قاسم الشريف ، الذي كان متوليا وظيفة مزوار الشرفاء . وقد تصدر أيضا للفتوى . ويحيى بن باديس ، وأحمد الجزيري ، وأحمد الغربي ، ومحمد السوسي المغربي ، ومحمد بن نعمون ، وعبد اللطيف بن سعيد ، وغيرهم.

ويأتي بعد ذلك الفصل الثالث الذي جعل عنوانه (في المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضيّة) ومما يذكر أن الفكون أضاف على صفحة 110 من الكتاب حيث عنوان الفصل الثالث ، هذا العنوان الإضافي (فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة). وهو قاسم بن أم هانئ ، وأخبر أنه افتتح به الفصل " لعظم مفسدته بين الخلق وشهرة بدعته وقوّتها". وبالطبع أطال فيه الحديث أيضًا . وذكر منهم أيضا أحمد بوعكاز ، ومحمد الحاج الصحراوي والشيخ طراد ، وسيدي الجليس ، وعبد الملك السناسي ، وعلي العابد الشابي ، إلخ. ومن الغريب أن الفكون وضع

الشيخ محمد ساسي البوني ضمن هؤلاء الدجاجلة ، لترحيبه سماه (حمام أهل الصفا) إلخ . وقد أطال في الحديث عنه وعن أمره الخرافي.

وأخيرًا تأتي الخاتمة التي قال إنه اختار لها عنوانًا هو (في إخوان العصر وما هم عليه) ، ولكنّه في صفحة 234 لاحظ أبو القاسم سعد الله تغيير في العنوان قليلا بين المخطوط الذي اطلع عليه والكتاب الذي بين أيدينا فيصبح (في ذكر من أرادنا ذكره من الأصحاب والأحباب). ويقصد بهؤلاء من كان معاصرًا له أو ندًا ، وله معه مراسلات واتصالات شخصيّة . ولكن هؤلاء لم يسلموا من نقده اللاذع أيضًا ، وقد جمع في هؤلاء الأصحاب بعض المنتمين للعلماء والمنتمين للمتصوّفة أيضًا . فنجد الشيخ بلغيث الذي تحول في تونس من العلم إلى التصوف . ونجد الموهوب بن محمد الزواوي ، ومحمد وارث الهاروني المتيجي، وعلي بن عثمان الشريف الزواوي ، وأحمد بن الحاجة الميلي ، ومحمد بن ناجي ، وأحمد المقري الذي أطال في الحديث عنه ونقده . ثمّ عددًا من التونسيين (مثل ابراهيم ولنلاحظ أن أكثر من عدّهم أصحابًا وأحبابًا كانوا من خارج قسنطينة .

ولكن تبقى أهمية كتاب(منشور الهداية) في أنه ليس كتاب تراجم بالمعنى التقليدي . ففيه لمسات إنسانية وأخبار طريفة وآراء شخصيّة أيضًا . كما أن فيه نماذج من حياة وأخبار العلماء خارج قسنطينة سواء كانوا من القطر الجزائري أو من البلدان الإسلامية الأخرى المجاورة والبعيدة . وفيه أوصاف لأحداث وقعت بين الثورات ، وقضايا الأمن العام في الريف ، ودور الزوايا ، وتقاليد تلقى العلم ، وأخبار الكتب . وما يلاحظ عليه أن الفكون لم يشر ، قسنطينة أو غيرها من أنحاء الجزائر.

وبعد ، فليس أفضل عند الإنتهاء من هذه الدراسة لكتاب (منشور الهداية) من قول مؤلّفه فيه عندما تحدّث عن قول المكودي:

هـذا مـع الجهــل وشغـل البـال

والاضطـرار واضطــراب الحال

إذا علق الفكون على ذلك بقوله:" وإذا كان هذا في زمنه (زمن المكودي) ومنار العلم منصوب ، وعن آراء الجاهلين برشق نبال البراهين محجوب ، فكيف بزماننا الذي فاض فيه عباب الجهل والدّعوى ، وطلعت كواكب البدع والأهوى (كذا) ، فلا ترى إلاّ مدعيًّا في العلم أعلى منصته ،

ومرتقيًا في شامخ التربية أرفع قنته ، جعلوا الطريقتين (العلم والتصوف) شباكًا لتحصيل الدنيا منصوبة ، وحبالات لجمعها بأوتاد حبها مضروبة ، وما نظروا إلى عاقبة الأمر وعقابه ، والوقوف بين يدي العالم بالخفيات ودقّة حسابه ، وأسأل الله العافية ، وصلاح حال الأمة...

"وقد ذكرنا في تأليفنا (منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية)من حال الصنفين ، ودعوى الفريقين ، ما يكتحل بأثمده أهل الكمال ، ويروى من عذب فراته أهل الفضل والإفضال ، والبرّ بتأليفه أردت ، وإرشاد الأمة ونصحها قصدت ... وهو ، وإن رمقتني من أجله العيون ، وانعقدت على بغضي القلوب وأكثرت الشؤون ، فذلك ولله الحمد، مما يسرني في الحال والمال ، ويقوي رجائي أن يكون لي عدة في عظيم الأهوال ، لوعد رب العالمين ، ﴿ وَالَّذِينَجَاهَدُوافِينَالَنَهْدِيَنَّهُمْسُبُلَنَاوَإِنَّاللَّهَلَمَعَالْمُحْسِنِينَ﴾[1]

فالرجل أراد بكتابه إصلاح حال الأمة الإسلامية وحالة مجتمعه الذي طغت عليه الضلالات . وهو يعتبر ذلك جهادًا في سبيل الله

وبهذا ننهي الفصل الأول الذي خصصناه للتعريف بالشيخ عبدالكريم الفكون وكتابه منشور الهداية وننتقل إلى الفصل الثاني .

1- سورة العنكبوت ، الآية رقم 69 .

الفصل الثاني :

حالة التصوف وصور المجتمع

مطلع القرن العاشر

الفصل الثاني : حالة التصوف وصور المجتمع مطلع القرن العاشر

المبحث الأول: صور المجتمع الإسلامي في كتب الصوفية

1-حالة التصوف:

منذ أواخر القرن التاسع (15م) حث محمد السنوسي (895هـ/1490م)[1] على العناية بالأولياء ، والصلحاء المعاصرين ، بدل الاهتمام بالغابرين منهم. وقد نقل عنه أنه قال"إن النفوس في هذه الأزمنة المتأخرة قد يمنعها من الاجتهاد في العمل الصالح ورياضة النفس عنها أنّ الولاية قد طوي بساطها فترى أنّ الاجتهاد لا فائدة فيه"[2].

أي في ذلك دلالة على أنّ هذا القول حمّال لوجهين، الظاهر فيهما حث الإمام السنوسي على وجوب التسنّي بمن سبق من الصالحين وضرورة تقفّي أثرهم وذلك بالاهتمام بالصالحين المعاصرين تصديقا للمثل: لكل مقام مقال ولكل دهر رجال، وأما ما بطن في قول السنوسي وهو اختلاط الأهواء عند المتصوفة المعاصرين، الذين نأوا عن تربية الباطن واهتموا بالظاهر.

واتباعاً لشيخهم اندفع تلاميذه ابتداء من القرن العاشر يؤرخون للمرابطين والأولياء والصلحاء الغابرين والمعاصرين على حد سواء ،ولقد اهتموا بالمعاصرين على وجهالخصوص .وبذلك ظهر تأليف ابن صعد والملالي والصباغ والبطيوي وابن مريم والفكون وابن سليمان والورتلاني وغيرهم . وكلهم كانوا يتناولون بالدرس والتعريف تراجم الأولياء والصلحاء في مختلف العصور ، ولا سيما الذين عاصروهم واتصلوا بهم عن طريق التلمذة مباشرة أو غير مباشرة.[3]

وكثرت العناية أيضا بدراسة التصوف وما يتصل به من مناقب وأذكار ومرائي وعلوم أهل الباطن. وقد ذكر سعد الله أنّ عددا من الأساتذة كانوا يتناولون تدريس التصوف في مجالسهم

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي .

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،ط1، 1987، ص472 .

[3]- أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 472

العلمية. فقد عُرف سعيد قدورة بتدريسه كتاب (الحكم) و(التنوير) لابن عطاء الله لطلابه ، وكذلك كان علي بن عبد الواحد الأنصاري يدرس التصوف من بين المواد الأخرى.

وكان عمر الوزان منكبًا[1] على دراسة كتب التصوف وعلوم أهل الباطن حتى أصبح له فيها اليد الطولى ، وكذلك كان موسى بن علي اللالتي، ناظم قصيدة (حزب العارفين) ، يقرئ تلاميذه في تلمسان كتب الصوفية ويحدثهم عن أخبار أهل التصوف وأحوالهم، وقد جاء في رحلة الورتلاني أنه كان يكثر من دراسة أهل التصوف مستندًا على مقالة الإمام مالك بن أنس من أن الصوفي الذي لا يتعلم الفقه يعتبر زنديقا وأن عالم أصول الدين الذي لم يدرس التصوف يعتبر فاسقًا.ونلاحظ في دراستنا لإنتاج هذا العهد في الجزء الثاني كثرة التأليف والأشعار المخصصة لعلم التصوف حتى كادت تَطْغى على جميع الإنتاج الآخر[2].

وبهذا يتراءى لنا أنّ التصوف في هذا العهد عُني بالدراسة ظاهرا وأُهمل باطنه الذي ما لبسه سائل الحقيقة إلا وعرف قدره وفي هذا نجد قول أبي مدين التلمساني:

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى ....فبالله يا خال الحشا لا تعنفنا

وفي هذا كامل الدلالة على أن التصوّف متى ما عُني بالدراسة دون التذوّق طمست معالمه، والأصل في ذلك الجمع بين الدراسة والعرفان.

كذلك كثرة المقارنات بين أهل التصوف في القديم وأهل التصوف المعاصرين ، فبالإضافة إلى مقالة السنوسي السابقة نسب إلى أحمد بن يوسف الملياني أنه قارن بين عصره وعصر عبد القادر الجيلاني،قائلا أن الجيلاني كان في القرن السادس والزمن غير فاسد وأهله فضلاء، بينما هو (الملياني) كان يعيش في القرن العاشر المليء بالفساد وانحطاط الأخلاق.وروي عن الملياني أيضا أنه تناقض مع محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المتصوف أيضا فقال له هذا "أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء" فرد عليه الملياني بقوله:" قد دعونا الخلق إلى الله فأبوا

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،ط1، 1987، ص472 .

2- أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 273

فقنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر". وقد لاحظ الخروبي بأن المليانى كان على صواب في ذلك ،قائلا:"فوجدته أوسع مني دائرة"[1]

1-وقد أشار سعدالله من قبل إلى الألفاظ الصوفية ، وقال أنها ثروة لغوية أنشأها التصوف ، فلنشر الآن إلى أن هذه الناحية تستحق الدرس، ولكننا لن نفصل ذلك ، لأن القدماء من علماء المسلمين اهتموا بها اهتمامًا شديدًا ، وتركوا فيها مباحث تقرأ.

2- ولكن ما هو الجديد في ذلك؟ أن جميع الآثار الأدبية هي في صميمها وصف للمجتمع الذي تنشأ فيه، فكيف يكون الالتفات إلى هذه الناحية من المبتكرات![2]

والجواب أن المؤلفات الصوفية لها صبغة تميزها عن سائر الآثار الأدبية ، لأن الصوفية في الأغلب يكتبون للعوام ، ويكتبون بلغة سهلة لا تكلف فيها ولا افتعال ، فهم يصورون المجتمع من نواحيه الخلقية واللغوية تصويرًا صادقًا لا مداورة فيه ولا احتيال ، ويساعدهم على صدق الوصف إنهم في الأغلب يبغضون التزوير ، ولا يتحدثون إلا عما يشيع من المناقب والمثالب والمحاسن والعيوب.

3- وأول ما ينبغي تقييده هو وجود هذه الطوائف الصوفية في صلب المجتمع الإسلامي ، فهم شراذم من الصالحين ومن الأدعياء يمثلون المساجد والأسواق ، ولهم على الجمهور سلطان رهيب . وكتب التصوف تدلنا على أنظمتهم الدينية ومنازلهم الاجتماعية ، وتشهد بما كانوا عليه في المطاعم والملابس والسمات.[3]

قدم أبو القاسم سعد الله نتيجة دراسته لكتب التصوف يقول فيها :وتبرز كتب التصوف أن المجتمع الإسلامي كانت تتنازع السيطرة عليه طائفتان تقتتلان : وهما أهل الحقيقة وأهل

1- أبو القاسم سعد الله ،المصدر نفسه، ص 51 .

2- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ج1 ،ص 289

3- في كتاب الواسطي المسمى قواعد التصوففقرات كلها تعريض بالصوفية الزيفين ، وذلك تصوير الجوانب من المجتمع الصوفي ، وكذلك يقال فيها هجم به الغزالي على أهل زمانه من رجال الصوفية.

الشريعة ، وكان لكل طائفة أنصار وأشياع ، وهذا النزاع كانت له مظاهر مختلفة ، وكان له أثر في تلوين الأذواق والعقول.

وهنا نلمحأنّ التصوف أُدخل فيه ما ليس فيه، وذلك بتقسيمه بمسمّى دراسة وتشريح أساسيه وهما الشريعة والحقيقة ليظهر لنا متصوفة مفرغون من العرفان ويتضح من ذلك قول الإمام مالك:من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

و كذلك أن الناس كانوا يثورون على الحكومات الإسلامية لأسباب عقلية وروحية ، أكثر مما يثورون عليها لأسباب اقتصادية ، فالحاكم كان يبغض لأنه ينصر هذا المذهب أو ذاك ، قبل أن يبغض لأنه قصر في تدبير أمور المعاش لجماهير المحكومين،ومن أجل ذلك كان الساسة المهرة يصلحون ما بيتهم وبين الصوفية ليستخدموهم في بث الدعاية ونشر ما يحبون أن يوصفوا به من بغض الظلم ، وإيثار العدل.[1] وحب الكرم والجود- والشعراني نفسه استخدمه حكام الظلم في عصره لتجميل سمعتهم بين الناس، ودفعوا ثمن ذلك بالسكوت عن أوقاف زاويته وكانت تحيط به شبهات[2].

وهذا ما يعضد قولناسالفا أن الصوفية أفرغت من جوهرها وأضحت جسما بلا روح، ليتراءى لنا بيّنا بأنّ المتصوفة المتأخرين سعوا إلى باب السلطان . ولو كان جائرا . سعي الرضى والتسليم زاهدين عن نصحه وتوجيهه، ليبتعدوا بذلك عن باب الجليل عز وجلّ.

واهم ما تتحدث عنه كتب الصوفية هو وصف ما كان عليه المجتمع من الأخلاق ، لأنهم لا يتحدثون إلا عن فضائل تشهاها المجتمع ، أو فريق من المجتمع، ولا يصفون من الرذائل إلا ما تألم منه المجتمع، أو بعض المجتمع ، فهم الوصافون الصادقون لما كان في المجتمع من خير وما كان فيه من فساد.

[1]- ينظر: مانقله علي مبارك عن صاحب الدرر المنظمة في الخطط التوفيقية ج 4 ، ص 110 .

[2]- ينظر: مانقله علي مبارك عن صاحب الدرر المنظمة في الخطط التوفيقية ج 4 ، ص 110 .

2- صورة المتصوف الحقيقي:

إن المتصوف الحقيقي هو مسلم قد عرف العقائد الإيمانية الصحيحة فاعتقدها،وعرف الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات فعمل بها، وعرف أمراض القلوب المختلفة فاجتنبها ، وطهّر نفسه من جميع المعاصي والرّذائل فابتعد عنها، ولسانه ذاكر آناء الليل وأطراف النهار ، وقلبه مراقب للعزيز القهّار ، وهو مخلص لربه في أعماله ومحافظ على الفرض والنفل في جميع أحواله، وإنه من المعلوم أنّ من كانت الصفات المذكورة أعلاه ديدنه،يكون قد عرّض نفسه لرحمة ربه ومحبّته .قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَجَاهَدُوافِينَالَنَهْدِيَنَّهُمْسُبُلَنَاوَإِنَّاللَّهَلَمَعَالْمُحْسِنِينَ﴾[1]

وجاء في الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:" إنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنه" رواه البخاري[2].

ومحبة الله للعبد المكثر من النوافل أي الذي يكثر من العبادة زيادة على مافرضه الله عليه، وهي إرادة الخير من الله لهذا العبد بحيث يحفظ له سمعه وبصره ويده ورجله من ارتكاب المعاصي ومن غواية الشيطان وتصير جوارح العبد هذا كلّها مسخرة في الطاعة وعمل الخير.

ولقد ذكر الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي[3] رحمه الله تعالى في كتابه "معيد النّعم ومبيد النّقم"[4]جملا عن الصوفية والمتصوف الحقيقي أردتأراد سعد الله إضافتها لكتاب الفكون لتعميم الفائدة.

1- سورة العنكبوت ، الآية رقم 69 .

2- صحيح البخاري، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 ه

3-أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(1327 -1370 م 727 ه)فقيه شافعي، ومؤرخ عربي وقاضي القضاة في دمشق.

4- تاج الدين عبدالله السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، تح ، محمد علي ، دار الكتاب العربي مصر ، ط1 ، (1367ه/1948م) .

ومعنى ما سلف ذكره يتجلى بوضوح في قول أحدهم: من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى ﷺ، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا

وقد قال ما نصّه:"وقد تشعّبت الأقوال فيهم تشعّبًا ناشئًا عن الجهل بحقيقتهم:لكثرة المتلبّسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجُوَيْنيُّ: لا يصحُّ الوقف عليهم ، لأنّه لا حدّ لهم يعرف ، والصحيح صحته ، وأنهم المعرضون عن الدنيا ، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة".

ومن ثمّ قال : الجنيد(ت297ه):"التصوف استعمال كلّ خلقٍ سنِي ، وترك كلّ خلقٍ دنيّ".

وقال أبو بكر الشِّبلي(ت334ه):" التصوف ضبط حواسك ، ومراعاة أنفاسك"

وقال ذو النونالمصري(ت 245ه):" الصوفي مَن إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق ، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق".

وقال علي بن بُندار(ت 359ه):" التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهرًا وباطنًا".[1]

وقال أبو علي الروُّذباريّ(ت 322ه):"الصوفي مَن لبس الصوف على الصفا ، وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى ، وكانت الدنيا منه على القفا".

وكان الشيخ الإمام أبو الفتح البستي (ت 400ه وقيل 401ه) يقول:"الصوفي من لزم الصدق مع الحق ، والخلق مع الخلق.

وينشدُ:

تنازع الناس في الصوفيِّ واختلفوا
قدما وظنّوه مشتقًا من الصوف
ولست أنحلُ هذه الاسم غيرَ فتًى
صافي فصوفي ، حتى لقّب الصوفي

[1]- عبدهُ غالب أحمد عيسى ، دار الجيل بيروت ، ط1 1992، ص 95-96-97

وهذه عبارات متقاربة ، والحاصل أنهم أهل الله وخاصّته ، الذين ترجى الرحمة بذكرهم ، ويستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي عنهم.

ومجمل ما تقدم من التعاريف نعلّق عليه بقولنا أن التصوف هو الأخذ بالأصول، والترك للفضول، والتشمير للوصول و إتباع طريق الرسول.

ومن أوصاف هذه الطائفة الرّأفة والرّحمة والعفو ، والصفح ، وعدم المؤاخذة وضابطهم ما ذكرناه ، وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله:"طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنّة" ، وقال:"الطريق مسدود على خلق الله تعالى إلاّ على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقولناني هذا ما ورد في رائية أبي مدين الغوث الذي سطّر دستورا لأهل الطريق والسائرين على طريق التحقيق المبتغين صفاء الأشباح والأرواح نجد قوله:

وإن بدا منك عيبٌ فاعترف وأقموجه اعتذاركَ عمّا فيك منكَ جرا

وقُل عبيدُكُم أولى بصفحِكمُ فسامحوا وخُذوا بالرفقِ يا فقَرا

هم بالتفضُّلِ أولى وهوَ شيمتُهُم فلا تخف دركاً منهُم ولا ضَرَرا

ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله تعالى عليه من المغيّبات ، ويخصهم به من الكرامات على الإذن ، وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة ، ولا يظهرونها إلاّ عن إذن لفائدة ،دينية من تربية أو بشارة أو نِذَارةٍ ، كما قال الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله تعالى عنها وقد كان نَحَلَهَا [1]، جاد عشرين وَسَقا من ماله بالغابة فحضرته الوفاة، وأراد استرجاع الهبة ، وتطيب قلبها مع ذلك :[2]

[1]-وعدها أن يعطها ويمنحها نحلاً.

2 - عبدهُ غالب أحمد عيسى ، مفهوم التصوف ، ص98

والله يا بنيّة ما من الناس أحد أحبّ إليّ غنًى بعدي منك ، ولا أعزّ علي فقرًا بعدي منك ، وإنني كنت نحلتك جادٌ عشرين وسقًا ، فلو كنت حزْتيه كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارثٍ[1]، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله تعالى :

قالت عائشة : والله يا أبت لو كان كذا لتركته ، وإنّما هي أسماء فمن الأخرى؟

فقال أبو بكر ﷺ: ذلك ، ذو بطن بنت خارجة أراها جارية . فكان كذلك .فلم يظهر أبو بكر ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة رضي الله تعالى عنها .

وأمَّا قصة سارية ، فإنّ عمر ﷺ كان أمَّرهُ على جيش ، وجهّزه إلى بلاد فارس ، فاشتدّ الحال على عسكره بباب نَهَاوْنْدَ وكاد المسلمون ينهزمون ، وعمر رضي الله تعالى عنه بالمدينة، فصعد المنبر ، ثمَّ استغاب في أثناءِ خطبته بأعلى صوته:

يا سارية الجبل ـ الحكاية. فأسمع الله تعالى سارية وجنوده أجمعين ــوهم بنهاوندـ صوت عمر ﷺ وعرفوه ، وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين ، يأمرنا بالالتجاء إلى الجبل ،فلجئوا"

سمعت الشيخ الغَمام يقول :سئل علي كرم الله وجهه وقد كان حاضرًا في المسجد ، وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت: ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟

فقال علي كرم الله وجهه: دعوا أمير المؤمنين ، فما دخل في أمر إلا وخرج منه ، ثمّ تبيّن الحال بالآخرة ، فنقول: عمر هناـ والله أعلم ــ لم يقصد إظهار الكرامة ، وإنما ألجأته الضرورة ــ وقد كشف له حال القوم ــ إلى أنفاذهم ، فناداهم ، ولعلّه غلب عليه الحال وغاب عن حسّه".[2]

[1]- أخبر سيّدنا أبو بكر ابنته السيدة عائشة ﷺ باثنين من المغيبات ، الأولى: أنه سيموت في مرضه ذلك "مال وارث" ، والثانية: أن زوجته بنت خارجة عندها حمل وهو أثنى "أراها جارية" وتحقق كلامه فولدت أم كلثوم.

2 - عبدهُ غالب أحمد عيسى ، مفهوم التصوف ، ص98-99-100

قولنا في هذا ما يدلّل عليه أهل التصوف بأن للأولياء كرامات ظاهرة للعيان يشهدها الخواص فيسلمون لهل ويرمقها العامة فينكرونها وينسبون ذلك إلى الهوى والشيطان، والحق في ذلك أن هنالك من المتزندقين الفارغين من الشريعة يضللون السذج بالخزعبلات وينسبونها إلى الكرامة، فقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره " :وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة"[1]

المبحث الثاني: نقد المتصوفة

نقد المتصوفة مستمر من زمن الغزالي (505م) الغزالي (1058-1111) هو عالم دين مسلم وفيلسوف يعتبر واحداً من أبرز الشخصيات الفكرية في التاريخ الإسلامي. وكان له نقدٌ حادٌ للمتصوفة في كتابه "تهافت الفلاسفة."

يعتبر الغزالي المتصوفة أحد الفئات التي أخذت تنتشر في العالم الإسلامي في القرون الوسطى. وقد انتقد هذه الفئة بشدة، واعتبرها أحد أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين وتأخرهم في التطور العلمي والتكنولوجي.

ومن بين النقاط التي انتقدها في المتصوفة:

1-التفريط في العلوم الدنيوية: لأنهم يركزون على التعبد والتقرب إلى الله بدلاً من التفكير في العلوم الدنيوية وتطوير الحضارة الإسلامية.

2- التأريخ بدلاً من الفلسفة: لأنهم يعتمدون على التأريخ والروايات بدلاً من الفلسفة والمنطق في استنباط الحقائق الدينية.

3-العيش في العزلة: لأنهم يعيشون في العزلة ويهربون من المشاكل الدنيوية بدلاً من مواجهتها وحلها.

1- تفسير ، ابن كثير ،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان ،ط1319/1هـ-1998م ، ج1، ص82

4- الانشغال بالذات: لأنهم ينشغلون بالتفكير في الذات والاهتمام بالنفس والتخلص من الشهوات بدلاً من التفكير في خدمة المجتمع وحل مشاكله.

على الرغم من ذلك، يجب الإشارة إلى أن الغزالي كان يحترم الصوفية الحقيقية التي تعتمد على العلم والعمل الصالح والحكمة. وقد انتقد فقط الأشكال المتطرفة

ثمّ ابن عطاء الله الإسكندري (709 م)يعتبر كتاب "الحكم العطائية" لابن عطاء الله السكندري من الكتب الرئيسية في التصوف الإسلامي، وقد نقد فيه المتصوفة والأساليب التي يستخدمونها في الوصول إلى الله.

ومن أبرز نقاط الانتقاد التي وجهها ابن عطاء الله للمتصوفة في كتابه هي:

1-الاهتمام الزائد بالعبادات والأعمال الخارجية، على حساب الأخلاق والمبادئ الأساسية للإسلام.

2-الانشغال بالتدريبات والتمارين الروحية، دون التركيز على تحقيق الهدف الأساسي منها، وهو الوصول إلى الله.

3-الانشغال بالأمور الدنيوية والشهوات البشرية، والتي تمثل عقبات كبيرة في طريق السعي إلى الله.

4-الانشغال بالمظاهر الخارجية للدين، دون الالتفات إلى المعاني والأهداف الحقيقية التي يسعى إليها الإنسان.

ويعتبر كتاب "الحكم العطائية" من الكتب المهمة في النقد السلفي للتصوف، حيث يعبر عن الرؤية السلفية التي تركز على تحقيق الهدف الأساسي من الدين، وتجنب الانشغال بالأمور الثانوية والمظاهر الخارجية. ومن المهم أن نلاحظ أن هذا النقد لا يستهدف الصوفية ككل، بليستهدف الممارسات الخاطئة والمفاهيم الضالة التي قد تنتشر في بعض التيارات التصوفية .

ثمّ أحمد زروق (توفي 899 م) هو مفتي ومؤرخ وشاعر، وكان من المعارضين للمتصوفة في عصره. كان ينتقد المتصوفة لعدة أسباب، منها:

1- اعتمادهم على الخيال والوهم في تفسير النصوص الدينية والتعامل مع الله، بدلاً من الاعتماد على المنهج العلمي الصحيح.

2-تقديسهم للشيوخ والأولياء وإقامة الصلوات والعبادات عند قبورهم، وهو ما يعد بدعة لا أصل لها في الإسلام.

3-تفكيرهم في الله بطريقة مادية وجسدية، حيث يعتبرون الحب والشوق والرؤى الروحانية وسيلة للوصول إلى الله، وهو ما يخالف تعاليم الإسلام التي تركز على العبادة الحقيقية والمعاملة الحسنة للناس.

ولكن يجب الإشارة إلى أن نقد أحمد زروق للمتصوفة كان محدودًا، فهو لم يتناول جميع جوانب فكرهم وممارستهم. كما أنه لم يتجاوز الإطار الفقهي ولم يحاول فهم التجربة الروحانية التي يتحدث عنها المتصوفون بطريقة أكثر عمقًا وتفهمًا.

وفي النهاية، يجب الإشارة إلى أن الإسلام يقبل التنوع في الفكر والمذاهب المختلفة، ما دامت تلتزم بتعاليم الدين والقيم الأخلاقية السامية. وعلى الرغم من اختلاف الرؤى، يجب أن يحترم كل فرد حرية العقيدة والتفكير، وأن يناقش الأفكار والآراء بإيجابية واحترام.

ثم الشعراني (979م) من بين أهم النقاط التي نقدها الشعراني في الصوفية:

1-انتقاده للتكلف والزيف في الطريقة الصوفية، ورفضه للتصرفات الخارجة عن الدين والتي تتعارض مع تعاليم الإسلام.

2-انتقاده للتشدد والتقييد الذي يفرضه بعض الصوفية على أتباعهم، ودعوته إلى الاعتدال والوسطية في العبادة والتعامل مع الناس.

3-رفضه للتفرد والانغماس في الذات، ودعوته إلى التفكر في خلق الله والنظر إلى الحياة من منظور شامل وعام.

4-تأكيده على أن الحقيقة والعلم لا يمكن الوصول إليهما إلا بالتزام الشخص بالأخلاق والأدب وترك الشهوات والغرائز.

5-تحذيره من الانشغال بالمظاهر الخارجية للعبادة وترك الجانب الداخلي والروحي، ودعوته إلى الاهتمام بالقلب والروح وتطويرهما.

6- رفضه للمجاملات والمزايدات والتملق، ودعوته إلى الصدق والأمانة والعدل والرحمة في التعامل مع الناس.

وهذه بعض النقاط التي تضمنتها أفكار الشعراني في الصوفية، والتي كانت تدعو إلى التفكر والتدبر في الدين والحياة وترك المظاهر والتشدد والانغماس في الذات .

ثمّ الفكون (1073م).وشاهد ذلك كتابه منشور الهداية الذي اعتمدناه موضوعا في مذكرة التخرج للماستر هذه.

1- علاقته بمن سبقه (الطريقة الزروقية ، طريقة ومنهج الشيخ أحمد رزوق نموذجًا)

وقد يكون هذا التفسير قائمًا على مبادئ الطريقة الزروقية (طريقة الشيخ أحمد زروق) الصوفية التي ينتمي إليها الفكون ، وهي طريقة تؤمن بـ"ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله ، فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل بل إيمان وتسليم...."[1].

أما الوجه الثاني من التفسير الذي يراه عبدالله كنون لموقفه من عدم التعرض للحياة السياسية العامة ، فقد يكون راجعًا إلى كونه قد ألّف الكتاب للنصح العام ، كما قال . وضرورة التخلص من الشعوذة والخرافة التي حلت بعقائد المسلمين ، ومن ثمة تصبح دعوته دعوة إصلاحية ــ سلفية يعتبرها هو ضرورة للخروج بالمسلمين مما هم فيه من الانحطاط العقلي الذي لا يتلاءم مع مبادئ دينهم ولا ما عليه العالم عندئذ من صراع شديد بين القوتين الأعظم :

[1]- انظر: لعبد الله كنون ، أصل الطريق للشيخ زروق ،في كتاب النبوغ المغربي ، ، ط2 ، بيروت ، 1961 ، ص 290 .

العثمانية (الإسلامية) والإسبانية (المسيحية) . فإذا صح هذا التفسير فإن دعوته الداخلية تصبح مكملة لعنصر القوة الخارجية الذي كان يقوم به الأسطول.[1]

يتضح لنا تلكم العلاقة القائمة منذ القدم بين الصوفية والحياة السياسية، ذلك أن الطرق وإن ظلت تنأى بنفسها عن ممارسة السياسة بشكل مباشر إلا أنها ظلت تسعى لترسيخ نفوذها الاجتماعي والديني الكبير، ما جعل هذه الطرق تشكل جزءًا من المعادلة السياسية التي سعت الأنظمة السياسية المختلفة لتمتين علاقتها بالتصوف باعتبار هذا الأخير صار له نفوذ اجتماعي.

من خلال تتبع سيرة عبد الكريم الفكوننعرف أنه قد تثقّف ثقافة محليةـ عصامية. لقد كان بعض أجداده قرأ في تونس وتولى فيها التدريس والخطابة والإمامة ولكن ذلك كان أيام تبعية قسنطينة للحفصيين ، أما هو فلا نعرف أنه ذهب إلى أي وجهة من أجل العلم غير قسنطينة . ذلك أنه في عهده قلّت الرحلات العلمية بين المدينتين : قسنطينة وتونس ، وتوطّد الانفصال السياسي بينهما وتقلّصت إلى حدٍ كبير المبادلات التجارية والزيارات وغيرها ، ولا نعرف أن الفكون قد رحل إلى الشرق طلبًا للعلم في صغره ، أما في كبره فقد كان يتوجه إلى المشرق كأمير لركب الحج لا كطالب علم . حقيقة أننا نجده يذكر أنه فكر في الهجرة إلى الحجاز وهو يافع إذ كان متبرمًا بأحوال بلاده وأهلها ، ولكنه عدل عن ذلك ورضي بالإقامة في وطنه مستندًا إلى حديث شريف جعله يعتقد أن أهون الشر عدم الهجرة ، إذ قد يكون البلد الذي يهاجر إليه أكثر شرًا من البلد الذي هاجر منه.[2]

تثقف إذن ثقافة محليةـ عصامية. وفي منشور الهداية معلومات وافية عن ثقافته . فهو يذكر شيوخه الأوائل ، بما فيهم والده ، ويذكر ما قرأ عليهم .ويتحدث عن تردده على الكتّاب وحفظه للقرآن الكريم ، ويسمى شيخه الذي حفظ عليه القرآن الكريم . وهناك معلومات عن شيوخه في الفقه والفرائض والكلام والنحو ، وقد أفاض في الحديث عن شيخه في هذا العالم

[1]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 9-10

2- ساق هذه الحكاية في منشور الهداية ص 10.

(النحو) بالذات ، وهما محمد التواتي المغربي(ت 1379هـ)، ومحمد بن راشد الزواوي(ت 1371هـ/ 1952م) . ويبدو أن الشيخ إبراهيم الفلاري التونسي(ت 1266هـ) قد دفعه (أثناء زيارة له لقسنطينة) للزيادة من المعرفة في علم النحو.

2- تردد أحمد زروق[1] على قسنطينة:

وكان على هذه الحالة مدّة إلى أن قدم في بعض الأيام على عادته ، فلم يجد والد أبي حفص بالباب كعادته فسأل عنه فأخبر أنه ولد له ولد اشتغل بوليمته ، فاتفق أن مشى الشيخ أبو العباس إلى دار والد أبي حفص وطلب على الولد ، أعني سيدي أبا حفص ، فكان يقال إن الشيخ الزروق أخذته حالة[2] إلى أن جعل الصبي ، أعني أبا حفص على كفّه ،وجعل يمشي به من طرف البيت إلى الطرف الآخر ، وهو يقول:اللهم تقبله مني على أي حالة كان ، هكذا[3] تنقل هذه الكرامة . وربّما نقلت[4] عن الشيخ الوزّان (ت 960هـ)، ﷺ ، ما يؤيدها ، فكان يقول: أنا دعوة الزروق ن ﷺ ونفعنا بهما وبأمثالهما.[5]

قولنا في هذا عرف عن الصوفية من سلوك حسن ودعوتهم إلى حسن الخلق أو كما اصطلحوا بأدب الطريق، والتسليم والعرفان بالفضل لبعضهم هو أحد العرى التي يتمسك بها الصوفية، ومن ذلك قول أبي حفص النيسابوري رحمه الله تعالى : التصوف كله آداب لكل وقت آداب و لكل حال آداب و لكل مقام آداب فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يظن القبول.

1- يعني الشيخ زروق ، ويكتبه المؤلف أحيانا (الزروق).

2- أي حالة صوفية.

3- في الأصل (هكذا)

4- بصيغة المبني للمجهول ، لأن المؤلف لم يلق الشيخ الوزان.

5- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 36

3- عن بشر الحافي وأحمد زروق:

وقال بشر الحافي[1] : رأيت النبي صلى الله عليه وسلّم تسليمًا . في المنام فقال لي: يا بشر تدري لم رفعك الله من بين أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله ، قال: باتّباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبّتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلّغك منازل الأبرار.

فإن قالوا قد تكلّفت شططا ، وهل ما فعل القوم من إبعاد الظلمة بالنكبات وَمَن أذاهم بالعقوبات إلاّ ترفع لنسبة الله بحيث إنهم يحارمون[2]النسبة المذكورة وذلك من تعظيم جناب الله ومن التسبب فيه؟ قلنا هذا من الاستظهار بالدعوى، أعني دعواهم الولاية من التعزر[3]بطريقتهم بل وهو من الأكل بالدين ، والخروج عن سنة سيد المرسلين ، وطريقة أصحابه المتقين ، إذ أوذي أبو بكر ، وطُعن عمر ، وحصر عثمان ، وشجّ[4] علي، فما سمع من أحد منهم التهديد بما ينال الفاعل ولا التخويف بما يحل به ، بل وكلوا الأمر إلى الله وإلى ظاهر الشرع فيما يجري عليه ، فأين هؤلاء السادة من أولئك الأقوام الأخساء؟[5]

ولقد أحسن فيهم الزروق في كتابه المذكور[6] قال فتجد أحدهم يهدد من يسيء إليه ويعِد مَن يحسن له من غير تعريج على حسن الظن بالله، بل بالتألي عليه إمّا جهلاً منه ورؤيةً لاستحقاقه ما يدّعيه، وهي خديعة شيطانية أو اغترار ببعض البوارق النفسانية والطوابع القلبية، ويدعوه لذلك استعجال العز والغنى[7] بالطريق وحب الاستتباع، حتى لقد سمعت عن بعض الناس أنه يقول، و(هو) يشير إلى نفسه: كل شيخ لا يتكفل بمريده في المواقف الثلاثة ، أعني عند الخاتمة

[1]-هو بشر بن الحارث بن علي المروزي المعروف بالحافي ، من الصالحين الزاهدين ، توفي في بغداد سنة 227- من إفادة الشيخ التليلي.

[2]-لم نستطع أن نفهم هذه الكلمة (يحارمون) ، ولعل في كتابتها تصحيفًا من الناسخ ، أو لعلها من الحرمة.

[3]-ولعلها(التعزز).

[4]- في الأصل(سج).

[5]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 186

[6]- هو كتاب تأسيس القواعد والأصول وقد سبقت إليه الإشارة.

[7]-في الأصل (الغنا) .

وعند السؤال وعند الصراط ، فهو غاشٌ ، وهذه مصيبة كبيرة لأن عاقبته في هذه الثلاثة مجهولة ، وكذا عواقب جميع الخلق في الآخرة ﴿يَوْمَلَايُغْنِيمَوْلًىعَنْمَوْلًىشَيْئًاإِلَّامَنرَّحِمَاللَّهُ﴾[1]

الأصل في هذا ما يعتقده غلاة الصوفية في أوليائهم أنهم يدبرون أمر العالم ، ويتصرفون في الكون بما يشاؤون ، وكل من اطلع بإمعان وإنصاف على كلامهم في ذلك، يجزم بأن الغاية التي ينتهي إليها غلوهم وضلالهم : هي رفع الولي إلى مقام الألوهية.

ودعاء الرسول ﷺ تسليمًا (سلّم سلّم) فمن أين يكون لغيرهم ما ليس لهم؟ أعاذنا الله من الفضيحة والكذب على الله بغير حق . وهذه مصيبة وغلطة وقعت لصاحب هذه الحالة من جهله وحسن ظنه بنفسه وحب الرياسة ، فإنّ أضاف إلى ذلك الأكل بالدين وصحبة الظلمة وإيثار الأغنياء على الفقراء والمعتقدين له على غيرهم، إلى أن قال: فقد باء بالخسران واستحق وجود اللوم، فإن شر الناس الذي يأكل بدينه.

قال العلماء: وهو[2] الذي يستظهر بصفة ليست فيه فيأكل بذلك ، قالوا ولا يجوز أن يأكل[3] مالاً باسم الصوفية إلا من لا يصر على كبيرة وإلا أكل حرامًا ، ولا يسكن الزوايا إلا ذلك ، فصار الأمر على خلاف ذلك في جميع الوجوه من تعامي الكل عن الكل خوف الفضيحة ، فيرحم الله القائل[4] :

فسد الزمان فأين أينَ المهربُ وفشا الحرامُ فأيُّ كسب أطلب
وتعامت العلماء عن شبهاتها فلمثل ذا فليعجبِ المتعجب
من ذا نشاورُ في مراتب ديننا ومزلّنا في ذا الزمان مؤدّب

[1]- سورة الدخان ، الآية 41 -42 .

2- في الأصل الغنا

3- في الأصل (يكون) فغيرناها (يأكل) لأن السياق يقتضي ذلك.

4- لا نعرف الآن من قائل هذه الأبيات.

قال وقد جاء في الحديث (بدأ الدين غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء منه)[1] الحديث . والغرباء هم المذكورون في حديث الطائفة التي لا تزال ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها ، وهي الجماعة/ في حديث حذيفة والفرقة الناجية.[2]

يقصد تباع السلف ــ رضي الله عنهم وألحقنا بهم بمنه وكرمه ـ

قلت: وهذا في زمنه[3] رحمه الله فكيف بمن ذكرناه من أهل هذا الزمان الذي انعدم خيره وعظم شره ، فترى الصالح عندهم من تكالب على الدنيا وأكبّ على حرامها واغتبط فيه ونافس فيه وتملق لأهل الدنيا ، ونصب لاستجلاب فائدها[4] شباك الحيل من دعوى الولاية والتعزز بها والتهديد بجاهه وماله من البركة واستعمال الحضرات وإطعام الطعام والاجتماع على ذلك وإدعاء الشيخوخة واستخدام التلامذة وإشهار ذكره والإعلان بخبره والنداء باسمه ومآثره ، وأعظم من ذلك اتخاذ الزئير والصراخ واضطراب الجوارح كلها عند الدخول في تلك الحضرة ذريعة وسلّمًا لارتقاء المناصب الدنيوية والأكل بالجاه والدين والتعالي عن عباد الله المسلمين ، حتى إن من لم يكن فيه هذا الوصف لا يُبالى[5] به من بينهم ولا يُلْتَفَتُ إليه[6].

4- رسالةالزروق إلى الموعفاوي و ابن سعيد:

رسالة كتبها الزروق لبعض إخوانه ، جامعة مانعة مختصرة قريبة المرام سهلة المرتقى ، فخذها من لفظه ـ رحمه الله ـ تبركًا وتيمنا ، وإن كان غيره قد تصدّى لذلك ، فرسالته أوضح وأوجز، والكل على هدى وإلى صوب واحد يدْعون ، ومن بحر السنة يشربون ويسعون ﴿أُولَٰئِكَحِزْبُاللَّهِأَلَاإِنَّحِزْبَاللَّهِهُمُالْمُفْلِحُونَ﴾[7]

1- صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ كتاب الإيمان باب بدأ الإسلام غريباُ وسيعود غريباً ص ١٧٥

2- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 187

3- الإشارة إلى أحمد زروق.

4- كذا(فائدها) ، ولعلها (فوائدها) .

5- يبالى ، بفتح اللام.

6- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 188

7- سورة المجادلة الآية 22 .

قال رحمه الله وغفر له ونفعنا به وبأمثاله ـ بعد البسملة والتصلية ، الحمد لله ولا قوّة إلا بالله ، من عبيد الله المفتقر إلى رحمته أحمد بن محمد المعروف برزوق ، أصلح الله حاله ، وإلى السادة الفقراء والأحباب في الله سيدي عبد الله الموعفاويكان الله له في الدنيا والآخرة وحبيبه في الله تعالى الفقير عبد الملك بن سعيد(ت 1163ه)، نور الله في قلبه وأسعده بمرضاته وكفاه شرّ نفسه ، ثمّ سائر الإخوان ممن أراد الدخول في دائرة الأصحاب ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد بلغنا منكم كتاب يتضمن كمال الوداد وحسن الظن وجميل الاعتقاد ، وأخبرتم فيه بأشواقكم إلينا وانعطافكم بكُنْه الهمّة علينا ، فأسأل الله أن يبلغ نياتكم وينفعنا بمصالح مقصودكم،وإلا فنحن عصاة[1] مذنبون ، نطلب عفو الله بكل حال ، ونتمسك بأذيال السادة من أهل الكمال.

ويا أخي طلبت مني إدخال فلان في الدائرة ، وليس ذلك لي ولا باختيار نفسي العاصية الجائرة ، ولكن قل لهم يقول لكم عليكم باللجاء إلى الله في مقصودكم ، ودعوا الحول والقوة وراء ظهوركم ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا عاصم من أمره إلا من رحم / وتعطف عليه ، وأوصيكم بخمس خصال إن لزمتموها وصلتم واتصلتم ، وإن أهملتم تُركتم وانقطعتم.

أولها: لزوم الخمس صلوات في الجماعة فإنها العصمة من كلّ آفة.

الثانية :مجانبة أهل العناد والظَّلَمَة وغيرهم من غير منازعة لما هم فيه إلا بشفاعة أو إرشاد بصحبة رفق.

الثالثة :إذا كانت لكم حاجة لأحد من الخلق أو لّه عندكم حاجة فقدموا الدعاء في قضائها لتكونوا بالله لا بأنفسكم.

الرابعة: القيام بحقوق الخلق بالرحمة للصغير والحرمة للكبير والشفقة على العاصي والتواضع للمطيع والإحسان لمن أساء[2]

[1]- في الأصل (عصات)

[2]- في الأصل (أسا).

الخامسة: الرفق بالنفس من غير تفريط ولا إفراط ، فلا يزيد في الضحى على ست ركعات فأقل ، وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتان ، وقبل العصر أربعًا ، وبعد المغرب ركعتان ، ومن الليل عشر ركعات والشفع والوتر ، كل ذلك بغير قراءة مخصوصة ولا صفة معلومة ، فإن ذلك بدعة، وما ذكرت لكم هي طريقتي والسنة التي كان عليها ﷺ تسليمًا يعمل بها حتى لقي الله عزّ وجل ، والزيادة لا أحبها والنقص لا أريده ، وعليكم بصوم الاثنين والخميس/ لا أكثر فإن لم تقدّروا فثلاثة أيام من كل شهر وبالجملة فخير الأمور الوسط[1]

، وهو ما ذكرت لكم ، وعمل قليل في سنّة خير من عمل كثير في بدعة ، والفقير مثل النحلة ترعى من كل نوار ولا تبيت إلا في حجرها ، وهو شيخه وإلا فلا ينتفع بعسله.

والذي أنهاكم عن خمس خصال.

أولها: كثرة التخليط في العبادات وغيرها.

الثانية: سوء الظن بعباد الله.

الثالثة: الاغترار بظواهر الخلق.

الرابعة: الانتصار للنفس.

الخامسة: تتبع الفضائل بدخول ما لا يعني كالتوجه للجهاد بغير إذن جماعة المسلمين أو سلطانهم فإنه سلّم الفتنة ، وقلّ ما اشتغل به أحد فأنجح ، والدخول بينه وبين مخالفيه بوجه لا يرتضيه، وحسن الظن بالناس ، وكن في عين الحذر منهم ، فلا تأمن لأحد بأهلك ولا مالك ولا دينك إلا من جرّبته ألف مرة أنه يخاف الله ويتقيه ، واعمل ما بيدك كأنك خازن له تأكل منه بالمعروف وتطعم عباد الله من غير سرف ولا إقتار ، ومن خلط في طريقته لم ينتفع بنفسه، ومن كثّر عدد الأذكار والعبادات غير ما صحّ في السنة بَعُدَ عليه الفتح ، لأنه كمن يريد حفر بئر يريد ماءها فيحفر في

[1]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 194-195

كل موضع شبرًا ، ومن تعلّقت همته، لم يحصل منهم بطائل لأنه/ إسقاط لحرمتهم. وإياكم والوسواس فإنه بدعة وضلال ، وأسأل الله[1] منه العافية.

وإياكم ثمّ إياكم ومخالطة الفقراء والطلبة، ومن الاشتغال بالكنوز والكيمياء وغيرهما،فإن ذلك كله مُبْعد عن الله، جالب للفقر بعيد عن الحق ، وعليكم بالألفة وإكرام الأصحاب، وهم ثلاثة: صاحب لدنياك فلا تراع فيه إلا حسن خلقه، وصاحب لآخرتك فلا تراع فيه إلا الله واقبله كيف كان، وصاحب للتأنس فلا تراع فيه إلا السلامة من شرّه .وإياكم وخلطة فقراء هذا الزمان فإنهم جذام ، إلا من قل وسلّم لهم ما هم فيه وعظّم الفقهاء[2]، لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطهم لأن نفوسهم غالبة عليهم ، وأكرم أهل الدنيا تنتفع بهم ولا ترفعهم على الفقراء فتسقط من عين الله وتزدرى[3] عندهم ، وألجأ في أمرك كله إلى الله تجد الإجابة كأنها طوع يدك وقل في جوف الليل بصوت ممدود: يا غني! مَن للفقير سواك؟ يا عزيز!من للذليل سواك؟ يا قادر!من للعاجز سواك ؟ يا قوي! من للضعيف سواك؟ فكرر ذلك تجد العجب في أمرك ، ولازم في كل يوم أن تقول: يا عزيز يا جبار يا متكبر يا ودود يا نصير، مائة وخمسة وعشرين / مرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بعددها مثلها ، ترى العجب من نفوذ الكلمة وظهور الأمر وذلة نفسك لك ، إلى غير ذلك.

وهذا خاص بك يا عبد الملك[4] وأنا أكتب لكم الوظائف [5] التي استعملتها، فإن تيسر لكم فقدّموا بها زواياكم فإنها مأخوذة كلها من أحاديث رسول الله ﷺ تسليمًا.[6]

من خلال تتبع هذه الرسالة نرى أن الشيخ الزروق شديد الإتباع للسنة، وأن هذه الرسالة جامعة للخيرات ومن أخذ بها أخذ بحظ وافر.

---

[1]- كذا (وأسأل) والصحيح (اسألوا) مع السياق، ولكن التعبير سيتغير في المتن على النحو الأول.

[2]-عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 196

[3]- في الأصل (وتزدرا).

4- أي عبد الملك بن سعيد الذي سبق ذكره في أول الرسالة.

5- في الأصل (الوضائف).

6-عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 197

المبحث الثالث :نقد الفكون لعصره ووصف زمانه:

ففي مقدمة (منشور الهداية) أوضح الفكون دواعي تأليفه فقال إنها انتشار البدع وسيادة الجاهل وكساد العلم وانحراف أهل الطرق الصوفية عن التصوف التحقيقي وتحالف هؤلاء مع الظلمة واللصوص والولاة الفاسدين.

مردّ ما ذكره الفكّون عن هذه الفرقة هو ما عابه على بعضهم من المتأخرين، وفي ذلك كامل الدلالة على أن التصوف أُدْخِل فيه ما ليس فيه، وهذا كل آيِل إلى اختلاط أهواء النفس وادّعاء صفاء الباطن، ليحدث بعد ذلك تنازع في أصل التصوف وضبط معانيه ومن هنا نجد قول البُستي:

تنازَعَ النّاسُ في الصُّوفيّ واختلَفو اقِدْماً وظَنُّوهُ مُشتَقاً مِنَ الصُّوفِ

ولستُ أمنحُ هذا الاسمَ غيرَفتنَصافي فصوفِيَ حتَّى لُقَّبَ الصُّوفي[1]

وقد اعتبر الفكون هؤلاء جميعًا أنصارًا "لحزب الشيطان" ، وقام هو للدفاع عن "حزب الله" والجهاد في سبيله بكشف فسادهم وانحرافهم . ولطول المقدّمة فإننا نورد منها بعض المقتطفات للدلالة على ما وصلت إليه حالة التصوف في عهده (القرن الحادي عشر ـ18 م).ولْنشر هنا إلى أن الفكون كان هو نفسه متصوفا ولكنه من متصوفة السلف ، كما سنشير إلى ذلك في موضعه. ومما جاء في هذه المقدّمة .« أما بعد، فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة (كذا) من أمواج البدع تتكسر ، وسحائب الجهل قد أظلمت، وأسواق العلم قد كسدت ، فصار الجاهل رئيسا ، والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيسًا ، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروائح السلب والطرد من المولى عليه فائحة ، إلا أنهم - أعني الطائفتين -موهوا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها، وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصارها ، ولبسوا بانتحالهم لها على أهل العصر أنهم من أهلها، وربما صارت الطائفة البدعية مقطعًا للحقوق، وقسمًا يقسم بهم في البر والعقوق، والطائفة الأخرى سطرت أناملهم في قراطيس

1- ديوان أبي الفتح البستي، تح وربة الخطيب و لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1410ه/1989م،ص134

السجلات ما يوهم من لم يرهم ممن يأتي في غابر الزمن أنهم من حزب العلماء، بل ومن مشائخهمالأعلين.

«كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء ، أن ينتسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم أو يذكروا في معرضهم ، وغيرة على جانب السادة الاولياء الصوفية أن تكون أراذل العامة و أنذال (كذا) الحمقى المغرورين أن يتسموا بأسمائهم أو يظن بعضهم اللحوق بآثارهم. ولم آل في التنفير من كلتا الطائفتين[1] والتحذير منهم في كل زمان وأوان، وبين كل صالح من الإخوان، إلى أن أحسست لسان القول قد نطق بنسبة ما لا يليق ذكره من أفواههم ، فشرح الله صدري في أن أعتكف على تقييد يبدي عوارهم، ويفضح أسرارهم ، ويكون وسيلة إلى الله في الدنيا والأخرى"[2].

تجدر الإشارة إلى أن الفكون لم يعب على المتصوفة أحوالهم فقط، وإنما تحدث الفكون عن صنعة التأليف في عصره. فقد أبدى رأيا جديرا بالتمعن في عصر كسد فيه سوق التأليف وضعفت طرائق البحث والتعمق والاستنباط، حتى أصبح كل من جمع مادة وحطب بليل يسمى مؤلفا، والمهم أن القراء في كل عصرهم الذين يميزون بين المؤلف المدقق المستقل الشخصية وبين المؤلف الحاطب بالليل.

ثم أردف الفكون قائلا: فهذا الجهاد الذي هو أحد من السيف في نحور أعداء الله، وناهيك بهم أعداء، نسخوا شرع سيدنا ومولانا محمد ﷺ بآرائهم المسطرة بأقلامهم في سجلاتهم ، وأحلوا الرشى بأفعالهم ، و التمدح بها والعكوف على طلبها، والاعتناء بأخذها في أنديتهم، فهي عندهم من أرفع المكاسب و أسنى المطالب . والطائفة الأخرى أعلنوا بأن سابق الأقدار منوطة بإراداتهم . فزادت بهم العامة شغبًا إلى شغبهم ، واتخذت أتباعهم ألقابًا باسم الشيخوخة والتحذير من أن

1-يعني بهم أدعياء العلم وأدعياء التصوف ، وقد وصف غيره أيضا حالة المتصوفين في الجزائر ولكنهم اكتفوا بالوصف مع التحبيذ ولم ينتقدوا أو يتخذوا موقفًا معارضًا لتصرفات المتصوفة في وقتهم . ومن هؤلاء البطيويوابن مريم و محمد بن سليمان والورتلاني.

2- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 31-32

يغاضوا أو يغتاضوا[1] ، فصارت العامة تجانبهم ولا تحط بساحتهم . وأما النكير عليهم فأربابه في قعر حفير ، وربما زاد في إفصاح أحوالهم من أن من مات منهم بنوا عليه وشيدوا بناءات وجعلوا عليهم قبابًا من العود وألواحًا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا لهم من الألقاب التي لا تصلح لهم، وهي من أوصاف سادتنا العلماء العاملين و الصلحاء الفاضلين الكاملين. فعظم الباعث على النصح بهذا التقييد[2].

رغم أنّ الفكون من كبار المتصوفة إلاّ أنّه لم يتوانى في تبيان عَوَارِ بعض المتصوفة، غيرة منه على جناب السادة الأولياء الصوفية أن تكون أراذل العامة وأنذال الحمقى المغرورين أن يتسموا بأسمائهم أو يظنوا اللحوق بآثارهم.

وانطلاقا من هذا المدخل عرف الفكون بأن الصلاح المؤدي إلى معرفة الله والقرب منه ليس هو التوسط بالشيخ واتخاذ الحضرة والجذب والكرامة وما إلى ذلك مما كان شائعًا في عصره ، ولكنه هو إتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة. فقال أن الرجل الصالح هو المواظب على الطاعات والمتجنب للنواهي البعيد عن المتشابه ، وهو الذي يكثر من ترديد اسم الله ، العارف بالله وبأحكامه ، المتبع للمندوبات بعد الواجبات . فهذا الشخص في نظره هو الجدير بأن يقصده الإنسان بالأخوة وطلب صالح الدعاء منه "ولا عليك بعد ذلك منه ظهرت عليه كرامة أم لا، كان رفيع القدر أو خامله ، فإن أولياء الله متفاوتوا (كذا) الحال في الدنيا ، وأما من كان على خلاف ذلك أو بعضه فيجب هجرانه لله خصوصًا الطائفة أهل الحضرة المخالطين للظلمة"[3]. وفي نظر الفكون ونظر من نقل عنهم كالطرطوشي والبسطامي وزروق والغزالي و الأخضري ، أن البدع تعتبر خروجًا عن الدين وأن التكسب باسم الدين يعتبر جناية لا ولاية.

وقد جاءت آراء الفكون في البدع الصوفية بعد أن أثمرت مدرسة محمد السنوسي وأحمد المليانى ومحمد بن علي الخروبي وأضرابهم أوضاعًا معينة من التصوف والولاية حتى أصبح كل شيخ

[1]- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 31-32-33

[2]-مقدمة (منشور الهداية)ص 33.

[3]- نفس المصدر، وهو يعني "بأهل الحضرة " منحرفة الصوفية الذي رد عليه محمد السنوسي .

مجذوب يعتبر بركة وصالحًا ، وكل درويش مغفل يعتبر وليا وصاحب كرامات ، وكل مستغل للعامة باسم الدين ومتقرب للسلطة باسم الطريقة يعتبر قطبًا تأتيه الجبايات ويقصده الناس بالرشى والقرابين ويقصده الحكام بالعطايا والهدايا. وفي ضوء هذا الوضع كتب ابن صعد (النجم الثاقب) وتبعه ابن مريم في (البستان) والبطيوي في (مطلب الفوز) والصباغ في (بستان الأزهار) وابن سليمان في (كعبة الطائفين). وهؤلاء المؤلفون يعتبرون من مثقفي العصر وأصحاب التفكير والرأي ، فما بالك بالعامة وأشباهها. فإذا كان المثقفون ينسبون معظم الدراويش إلى الولاية والصلاح والكرامة فكيف يكون موقف بقية الناس منهم؟

مما ذكر سابقا نستنبط أنّ الفكون تحدث عن حزبين داخل التصوّف متصارعين في عصره، وهما من يسميهما: حزب الله وحزب الشيطان. وأحيانا يسمى ذلك طائفة الخير وطائفة الشر. وطائفة الشر هذه ذات شقين: شق يضم أدعياء العلماء الذين سطرت أناملهم في قراطيس السجلات ما يوهم من لم يرهم ممن يأتي في غابر الزمن إنهم من حزب العلماء ومن مشايخهم الأعلين، وشق يضم (الطائفة البدعية) .

1- وصف المؤلف لأهل زمانه:

لله درهم ما أنصفهم وما أعرفهم بالفضل لأهله ، إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه ، فأين ذاك من زمن لا يعرفون[1] منكرا، وإن عرفوه لا ينكرونه بل يدبون[2] على المواظبة[3] عليه، وإن وجدوا مآثر حسنة لأهلها لم يألوا جهدًا في إطماسها وإخمادها ، وإن قدر الله بإظهارها عنّفوا ناقلها واستهزؤوا به وردوها عليه من كل وجه ، وربما أوّلوها على مقتضى تأويلاتهم الفاسدة وأخرجوها عن قالبها إلى قوالب ما طبعوا عليه من الحرمان ، لا جمع الله شملهم ولا أكثر في الدنيا

[1]- كذا ، وهو يعني أهل زمانه.

[2]- كذا، ولعله يعني لها يعملون على ..

[3]- في الأصلالمواضبة.

مثلهم ! وما أنصف قصيدتي[1] المنبئة بأوصافهم فيهم ، وضمّنّاها تأليفنا (محدد السنان في إخوان الدخان)[2] مع الإشارة إلى بعض ما هم عليه من الأوصاف القبيحة ، فمن أراده فليطالعه[3].

للإشارة وردفا على ما تقدّم ذكره يعتبر (منشور الهداية) أفضل ما ألف الفكون، بل أفضل الكتب المؤلفة في العهد العثماني بالجزائر. فهو ليس كتاب تراجم بالمعنى المتعارف عليه لدى كتاب التراجم، وليس تخليدا لملك أو أمير أو باشا كما فعل بعض كتاب ذلك العصر، وليس كتابا في التصوف وأحوال الدراويش والانهزامية التي ألف فيها أيضا بعض مثقفي تلك الفترة. ولكنه كتاب في النقد الاجتماعي والنقد السياسي والنقد الديني، وهو أيضا كتاب عن أحوال الناس وزعمائهم السياسيين والمثقفين والدينيين.

ومن إنصاف الشيخ العطار (ت 1835م 1250هـ)وانقياده للحق والعمل به ما يحكى أنه كان له خصام في بعض أجنّة[4] المدينة مع الصلابة[5] وقاضي الجماعة إذ ذاك الغربي[6] ، وطال نزاعهم وترافعهم إلى الحكام كل منهم يدلي بحجته ويقابله خصمه بضدّها، وكثر استفتاؤهم من علماء العصر إلى أن لجأوا إلى تحكيم العالم الرباني الصالح الشيخ الوزّان فاجتمعوا لديه وحضر الخاص والعام في مجلسهم، فعندما ذكر قاضي الجماعة أُشْهِدكم أني حكمت الشيخ[7] طار قلب الشيخ العطار فَرَقًا خيفةً من أن يكون أَشْهَدَ بالحكم عليه فتنقطع حجّته، ويقال إن تلك كانت سبب علة موته.

وهذا رحمه الله من وقوفه على جادّة الطريق ومعرفته بحق الشرع وحرمته وعدم التلاعب بأوامره مع ما لديه من حجج ظهرت له أنه على يقين في كون الحق حقّه لا لصاحبه، فخشي أن

---

[1]- في الأصل قصيدتي.

[2]- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986.

3 - عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص39

[4]- اي البساتين.

[5]- كذا، وقد صححت في هامش الأصل (ابن فلانة).

[6]- يعني به أبا الفضل الغربي.

[7]- أي الوزان.

يكون الحكم عليه مع وجود تمسّكاته[1] فتنقطع مادة نزاعه ويبقى رهينًا أسفًا على فوات ما لديه من دلائل صحة ما يدلي به ولا يتأول على مثل من له علم ونباهة وفضل معرفة إلاّ هذا، ولا تصغ لتأويل الجهلة ما يقطعون به أيام البطالة ويجعلونه من المزاح اللائق بهم في أنديتهم، وربّما يجعلونه سلّمًا لاستصغار جانب أهل الفضل والعلم والله تعالى يقول: ﴿إنّمَا يَخْشَى الله من عباده العلماءُ﴾[2] . وتوفي الشيخ العطار في عام ثلاثة و أربعين وتسعمائة.[3]

والحق أن هذه من صفات أهل السلوك، إذ لا غنى لهم عن الغنيّ الذي فنيت فيه أجسادهم وتسامت إليه أرواحهم، حتى صاروا ربانين قولهم حق، وفعلهم حق، وتحركهم وسكونهم لله لا لسواه، ومن ذلك قول الحلاّج:

حبي لمولاي أضناني و أسقمني فكيف أشكو إلى مولاي مولائي؟

إنّي لأرمقُهُ و القلبُ يعرفُهُ فما يترجِّمُ عنه غير إيمائِي

2- التعريف بسيدي أحمد الغربي ، رحمه الله:

احمد الغربي و ابنه أبو الفاضل:

وممن سمعنا به قاضي الجماعة الغربي المذكور واسمه ، ووالده الشيخ العالم سيدي أبو العبّاس أحمد الغربي(ت1815م) ، وفي النسبة أنهم من بلد ميلة وهو ، أعني الشيخ أبا العباس ، شارح رسالة سيدنا عمر بن الخطاب فشرحها بشرح لم يسبق إلى مثله في وصفه ضمّنه جملة من الأحكام التي قلّ أن توجد في مثله وجملة من التاريخ ومسائل اعتقاديه وصوفية وحكايات مستطرقة ، وكل ذلك مبني على تبحره في العلم وقيامه بوظيفته ، وله مشيخة جمّة من مشاهير العلماء العاملين[4].

[1]- كذا ، وهو يعني براهنيه وأدلته.

[2]- بقراءة فتح ،اسم الجلالة وضمّ العلماء.

[3]- 943هـ/1536 م.

[4]-عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص 40

المبحث الرابع :مسائل نقدية

1- نقد القشيري : من خلال وصية المريدين (الرسالة القشيرية) من باب الوصية للمريديين:

وصية القشيري للمريدين هي مجموعة من النصائح والتوجيهات التي وجهها الإمام القشيري لأتباعه في الطريقة الصوفية. تعد هذه الوصية إرشادًا للمريدين حول كيفية السلوك والتصرف في رحلتهم الروحية نحو الله.

بداية قال القشيري لما أثبتنا طرفًا من سير القوم وضممنا إلى ذلك أبوابًا من المقامات أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها وأن لا يحرمنا القيام بها ولا يجعلها حجة علينا، فأول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فإن الشيوخ قالوا إنّما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول كذلك سمعت الأستاذ أبا علي يقول فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة، وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا [1] عن هذه الجملة[2] فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل[3]:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه من الناس ساري
فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

[1]- ارتقوا: بعمارة باطنهم بالأخلاق الحميدة وبعدهم عن الأخلاق الذميمة ومراقبتهم لربهم في أعمالهم.

[2]- عن هذه الجملة : أي جملة القسمين في سدف الظلام بضم السين وفتح الدال جمع سدفة بفتح السين وإسكان الدال وهي الظلمة.

3-الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية، دار السلام ط2 /2003، ص 215

ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم ألا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا"[1][2]

فقال: الشافعي لا تفعل فلم يقنع، فقال لشيبان : ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها ما الواجب عليه ياشيبان . فقال شيبان: يا أحمد هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد فغشى على أحمد فلما أفاق قال له الشافعي رحمه الله ألم أقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعي كان أميًّا منهم.[3]، المريد بينه وبين الله تعالى عقده فيجب أن يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدي به فرضه وإن اختلف عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحواط ويقصد أبدًا الخروج من الخلاف[4].

فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ولهذا قيل إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى ثمّ يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدًا[5].

ومما ينبغي تبيانه هنا وهو أهميّة الشيخ في سير المريد إلى الله عز وجل، فكما جاء في الأثر قول أحدهم: من لا شيخ له فشيخه الشيطان، وزادوا على ذلك ضرورة تخير الشيخ وعدم اتباع أدعياء الضلالة ومتّبعي الهوى والنفس وهذا الطرح يعضده قول ابن عاشر:

واصحب شيخا عارف المسالك يقيك في طريقك شر المهالك

1- استسلموا: أي انقادوا بالعكس يعني كانوا هم مستسلمين لأئمة ذلك الوقت.

2- الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية ص 216

3- كان أميًّ منهم : وقد أجرى الله على لسانه الحق حتى انتفع به العلماء.

4- المصدر السابق ،الرسالة القشرية ص 216

5-المصدر نفسه ،الرسالة القشرية ص 217

وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء[1]، فإذا جربه شيخه فيجب عليه أن يلقنه ذكرًا من الأذكار على ما يراه شيخه، فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثمّ يأمره أن يسوى قلبه مع لسانه، ثمّ يقول له اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبدًا بقلبك ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثمّ يأمره أن يكون أبدًا في الظاهر على الطهارة و أن لا يكون نومه إلا غلبة[2].

و أن يقلل من غذائه على التدريج شيئاً بعد شيء [3]حتى يقوى على ذلك[4]ولا يأمره أن يترك عادته بمرة فإن في الخبر "إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى" ثمّ يأمره بإيثاره الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب.[5]

ومن هنا إذا استقرأنا الخطاب الصوفي على وجه العموم ابتغاء رصد موضوع الطعام ألفيناه حمّالا لخطاب مهم: وهو ما تعلق بالزهد كونه الجانب العملي للتصوف حيث يتجلى لنا زهد الصوفية ونأيهم عن ملذات الدنيا وشهواتها لترويض النفس وتعليقها بذكر الله عز وجل.

وإذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جدّا[6] وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم[7] والقيام بما فيه راحة فقير[8].

الأصل في كلمة فقير، المراد منها الفقر إلى الله فكل سائر على الطريق (طريق الحقيقة) وسالك نهج الصالحين ينعت بالفقير، فقير إلى الله غنيّ به عما سواه، والفقراء هم أصل السلوك وصحبتهم فلاح، وقربهم نجاح ومن ذلك قول أبي مدين الغوث:

1- لا يجيء منه شيء : يعتد به لأنه يعتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى.

2-الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية ص216-217

3- شيئًا بعد شيء: لا بأن ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة ويستمر عليها أيّاما ثمّ أخرى ويستمر عليها أياما وهكذا.

4- حتى يقوى على ذلك: الذي أمره به وخفّ نومه وينشط للعبادة وحددذلك ما أشار إليه ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

5- المصدر السابق ، الرسالة القشرية ص 217

[6]- فهو مضر له جدّا: لمنافاته ما مرّ من أنه مأمور بملازمة الخلوة إن كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما أنه لا يسافر لا يخالط الناس.

[7]- وترك الخلاف عليهم: مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب.

[8]- راحة فقير: بأن يوافقه في أغراضه الجائزة.

ما لذَّةُ العيشِ إلّا صحبةُ الفقراهم السلاطينُ والساداتُ والأمرا

والجهد أن لا يستوحش الفقير منه قلب شيخ ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبدًا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقا واجبًا ، ولا يرى لنفسه واجبًا على أحد ، ويجب أن لا يخالف المريد أحدًا وإن علم أن الحق معه يسكت ويظهر الوفاق لكل أحد.

ومعنى ذلك ألا يكون للفقير حظ نفسه على إخوانه وإنما يكون بينهم محبا كما يحب لنفسه، بل وأن يؤثرهم على نفسه لكي لا يُرى عليه حال المعتقد في ذاته الفضل عليهم وهذا القول يوافقه أو مدين بقوله:

فاصحبهُم وتأدَّب في مجالسِهموخلِّ حظَّك مهما خلّفوكَ ورا

وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء، وإذا كان المريد في جمع من الفقراء إما في سفر أو حضر فينبغي أن لا يخالفهم في الظاهر لا في أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله عز وجل وإذا أشاروا عليه بالأكل مثلاً يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطى النفس شهوتها وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد بالظاهر فإن القوم في مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البرّ الذي لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم ورأس مال المريد،الاحتمال عن كل أحد بطيبة النفس وتلقى ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة في القليل والكثير فيما هو حظ له، ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كدّ اليمين وعرق الجبين، وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة، فإن وجد في خلوته ما لا يجده قلبه إما في النوم وإما في اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهد مما يكون نقضًا للعادة فينبغي أن لا يشتغل بذلك ألبته ولا يسكن إليه ولا ينبغي أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولا بد به في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغًا عن ذلك ويجب على

شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه فإن ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك . وأعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته عليه باني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة بإثباته في الكتب معتذر ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين ثمّ يقيم عليه ولا يبرح عن سدته إلى وقت الإذن وأعلم أن تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت والشبان الذين يخرجون إلى الحج من هؤلاء القوم من غير إشارة الشيوخ فهي بدلالات نشاط النفوس فهم متوسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم على أصل والذي يدل على ذلك أنه لا يزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة ومن شرط المريد إذا أراد شيخًا أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمة فإن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة[1].

كما نذكر بعض الفصول في باب وصية المريدين للتفسير.

(فصل) ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردّة[2] عن الدين لأهل الظاهر ، ولا ينبغي للمريد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختيار ما أمكنه فإن في لوازم الشرع ما يستوفى منه كل وسع. قال الله تعالى في صفة قوم ﴿ابتدعوها مَا عَلَيهِم إلا ابتغاء رضوان اللهِ فما رعوها حقَّ رِعايتها﴾ .

(فصل) ومن شأن المريد قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من والوقت ، وأمل فيما يستأنفه لا يجئ منه شيء.

[1]-الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية ، ص 218-219-220-221

[2]- كالردة ألخ: من حيث إن كلا منهما يختل عما اتصف به مما سبق من أحواله ومقاماته. قال تعالى: « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ » الآية 09 .

(فصل) ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم وإن قلّ لا سيمًا بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت.

(فصل) ومن شأن المريد بل من طريقة سالكي هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان فكيف التعرض لاستجلاب ذلك، وعلى هذا درج شيوخهم وبذلك نفذت وصاياهم ، ومن استصغر هذا فعن قريب يلقي ما يفتضح فيه.

(فصل) ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سمّ مجرّب ، لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم. قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُه عَن ذِكْرِنَا﴾ وأن الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقربًا إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققًا بالله تعالى[1].

2- نقد أحمد زروق لأهل البدع وما احتوى عليه زمانه من فساد وباطل

وهذا من خلال ما أورده الشيخ زروق من أحاديث نبوية تبين أنه سيأتي على الناس زمن تظهر فيه الفتن وتكثر فيه البدع والضلالات .

فقد قال عليه الصلاة والسلام:" بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي مؤمنًا ، ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا"[2] وقال عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر"[3] وقال عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ، قلوبهم خربة من الهدى ، ومساجدهم عامرة بأبدانهم ، شر من ثقل الغبراء وتظل السماء يومئذ علمائهم ، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود"[4] وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواعَلَيْكُمْأَنفُسَكُمْلَايَضُرُّكُممَّنضَلَّ

[1]-الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية ، ص221

[2]-رواه مسلم في صحيحه في بابين أحدهما باب الحث على المبادرة بالأعمال... ، حديث رقم (117) [110/1] والترمذي في سننه (30 باب ما جاء ستكون فتن...) ، حديث رقم (2190) [478/4].

[3]- رواه الترمذي في سننه (37 باب) ، حديث رقم (2260) [526/3] وفيه [الصابر فيهم على دينه] بدل [القابض فيهم على دينه].

[4]- رواه الداني في السنن الواردة في الفتن ووقفه على علي بن أبي طالب ﷺ ، باب ما جاء في شدة الزمان...، حديث رقم (236) [545/3] ورواه الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال ، حديث رقم (1045)[227/4] .

إِذَااهْتَدَيْتُمْإِلَىاللَّهِمَرْجِعُكُمْجَمِيعًافَيُنَبِّئُكُمبِمَاكُنتُمْتَعْمَلُونَ﴾[1] "إذا رأيت شحًّا مطاعا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخويصة نفسك"[2] وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الفتنة إذا نزلت دخلت قلوب الخلق حتى لو كان فيهم كذا فتنوا فإن أردت أن تعلم هل نالك منها شيء فانظر هل كان عندك شيء حرام فحللته أو حلال فحرّمته"

قال ابن عباس: يتعرض للسلطان وليس له منه النصف. ومنه قال عليه الصلاة والسلام:"ما سبّ قوم أميرهم إلا حرموا خيره)[3]

وقد كنت أسمع شيخنا أبا الحسن السطي رحمه الله وكان قليل العلم كثيرًا ما يذكر في مجالسه يقول:قال رسول الله ﷺ:"العلماء ورثة الأنبياء الرسل ما لم يميلوا إلى الدنيا أو يداخلوا السلاطين، فإذا مالوا إلى الدنيا أو داخلوا السلاطين فاخشوهم على دينكم"[4] وقال سفيان رضي الله عنه:"إذا رأيت القارئ بباب الأمير فاعلم أنه لص وإذا رأيته بباب الغني فاعلم أنه سارق"[5].

أ- فصل في مو اقع البدع و أنواع المخالفات:

البدع والمخالفات تتعلق بالمنهج الديني والفقه الإسلامي. وفي السياق الإسلامي، يشير مصطلح "البدعة" إلى أي عمل ديني أو عقيدة أو ممارسة لا تستند إلى أساس شرعي موثوق ولا يتوافق مع تعاليم الإسلام الأصيلة. وبالتالي، يعتبر البدعة انحرافًا عن المنهج السليم ومخالفة لتوجيهات الشرع الإسلامي.

تتنوع أنواع المخالفات والبدع في الأمور الدينية والعبادات، وقد يشمل ذلك العقائد، والعبادات الخاصة، والتعاملات المالية، والممارسات الاجتماعية.

[1]- سورة المائدة الآية 105 .

[2]-رواه ابن ماجة في سننه ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ، حديث رقم (4014)[1330/2] ، والترميذي في سننه باب ومن سورة المائدة ، حديث رقم (4058)[257/5]ورواه غيرهما.

[3]-رواه الداني في السنن الواردة في الفتن، من كلام أبي إسحاق ، حديث رقم (146)[405/2] وابن عبد البر في التمهيد [287/21].

[4]- لم أجده بلفظة فيما لدي من مصادر ومراجع.

[5]- زروق الفاسي ، عدة المريد الصادق ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 2008،ص 278-279

وقد مرّ حدها وتقسيمها ، وقال بعض العلماء: البدعة ما لم يقم دليل شرعي على أنه واجب ومندوب، سواء فعل على عهده عليه الصلاة والسلام أو لم يفعل، ثمّ هي بحسبه تجري في كل مرتبة وحالة وعمل إلا أنها تقل وتكثر ، ومنها ما يجب التعرض لإزالته ، ومنها ما يندب ، ومنها ما يباح ، ومنها ما يحرم ، فكلما علم إلحاق الضرر منه فأنت في فسحة في إنكاره ، وإن كان يؤدي إلى منكر أعظم منه فيمتنع لا من حيث ذاته ، بل من حيث ما يؤدي إليه ، وقد أُمرنا بطاعة الأمراء، واحترام العلماء ما لم يكن الذي نصيب أعظم من الذي يصيبنا.

وهذا زمان الفتن والمحن ، فلا سبيل إلى التعرض للأمور الجمهورية في حق كل ضعيف أو مجهول الحال، أو من يرى أن كلامه فيها من الدّعوة والاستظهار بالكلمة ، فإن ذلك يؤدي إلى التلف والهلاك ، وقد عاينّا منه كثيرًا والتواريخ مملوءة به ، فدع الأمراء والمتصدّرين بسبيلهم ، إن أصابوا فلهم ، وإن أخطئوا فعليهم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام:"إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك"[1] ومن تعلّم العلم ليحكم به على الناس فلا يستريح ولا يستراح منه، ومن تعلمه لنفسه فمستريح ومستراح منه ، وعلى الإنسان أن يقوم بنفسه ثمّ بأهله وولده وصديق ملاطف إن أمن غوائله[2] ، وقليل ما يوجد في هذه الأزمة ، وللمحاولات وجه ، فدع عنك أمر العامة ، ثمّ سايس الأمور في حظوظ الناس تظفر بسلامة الدنيا وتحصل الديانة ، وبالله التوفيق.[3]

ب-فصل في متشابه الأمور بين البدعة وغيرها:

هناك تشابه في الأمور بين البدعة وبعض الأفعال أو الممارسات الأخرى، وهو ما قد يسبب بعض الارتباك في فهمها.

فمن ذلك في باب العلم الاشتغال بعلم المنطق والجدل وعلم الكلام والفلسفة ونحوها فقد ذهب جماعة من الأئمة إلى منع الاشتغال به ورأوه ضلالاً ، وذهب جماعة إلى تقديمه والاهتمام به ورأوه كمالاً ، وقوم فصلوا فيه ، وقوم توقفوا ، وقوم جعلوه من حيز المهلات.

[1]- هذا الحديث سبق تحريجه.

[2]-الغوائل: الدواهي (لسان العرب).

[3]- زروق الفاسي ، عدة المريد الصادق ، ص189-190

ومذهب السلف وجمهور أصحاب المذاهب على تجنبه وذمه ، فقد اتفق مالك والشافعي وأحمد وأبو يوسف وسفيان الثوري في جماعة من العلماء على تحريم الكلام في علم الكلام ، ولم يتكلم السلف رضي الله عنهم في الاسم والمسمى ، ولا في التلاوة والمتلو ، ولا في الصفة والموصوف ، ولا في مشكلات الآيات والأحاديث إلا من حيث إخراجها عن ظاهرها المحال فقط ، بل ضرب عمر ﷺ صبيغًا[1] لما كان يتتبع مشكل الحديث والقرآن ويسأل عنه.

وقال جماعة من السلف بل جملتهم بكراهة رواية الأحاديث المشكلة، وممن روي عنه ذلك مالك ﷺ ، وعاب الشيوخ على الشيخ أبي بكر بن فورك كلامه في الأحاديث المشكلة ، التي لم تصح والاشتغال بتأويلها، وقالوا: كان يكفيه تضعيف أصلها ولا ينبغي أن يتكلم منها إلا على ما صحّ لوجود الاضطرار إليه ، وله نية صالحة فيه فجزاه الله وجزاهم خيرًا

وقال الشافعي رحمه الله :"إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غيره فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له" وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ:" لا يفلح صاحب علم الكلام أبدًا ولا يرى أحد ينظر في علم الكلام إلا وفي قلبه مرض" وقال أيضا: "علماء الكلام زنادقة" وقال أبو يوسف:"من طلب العلم بالكلام تزندق" وقال الشافعي رحمه الله:"قد اطلعت من علم الكلام على شيء ما ظننته قط ولا أن يبتلى العبد بكل شيء نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام"[2].

قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله: حدّثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي رحمه الله كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه سبحانه ويقولون: هؤلاء يتمندلون بالله عزّ وجل . وقال الخطابي رحمه الله: " وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر الله إلا فيما يتصل بطاعة" وكان يقول للإنسان: جزيت خيرًا وقلمًا يقول جزاك الله خيرًا إعظامًا لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة.

[1]- سبقت الغشارة إليه.

2- زروق الفاسي ، عدة المريد الصادق ، ص190-191

قال بعض المشايخ: ومن تكلم في علم الكلام من الأئمة فإنما قصد لدفع ما أحدثه أهل الأهواء من الشبه والتخيلات التي لا يمكن ردها إلا بالكلام فيه لابتنائها عليه.

قال: واختلف العلماء هل لا يرد الباطل إلا بالحق أو يرد بكل ما أمكن رده به، فمن منع من علم الكلام قال بالأول ، ومن أجاز قال بالثاني والله أعلم[1].

3- نقد الشعراني:

كانت الزاوية مأوى لطوائف من المريدين يقيمون فيها ليلهم ونهارهم ، وكان لها لواحق من المطابخ والأفران والطواحين ، بدليل قول الشعراني: أراد الفقراء المقيمون عندنا في الزاوية أن يعلموا القصع الخشب الكبار التي اشتريتها لسماط الفقراء ، فقالوا: أي شيء نكتبه عليهم؟ فقلت لهم: اكتبوا:"كبرالقِصع ، من قلة الورع"[2] وكانت أيضًا ملجأ لأصحاب العاهات من الزمنى والعميان وهي فيما اعتقد صورة الديارات والمعابد عند النصارى واليهود ، والفرق بين الزاوية والدير أن الزاوية قد يقيم فيها الرجل مع زوجته وأولاده ، وأن الدير لا يقيم فيه غير الرهبان المحرم عليهم الزواج[3]

ونظام الزوايا لا يزال حيا في بلاد المغرب، وكان سكان الزوايا ممن تتحدث عنهم البرقيات في الحرب الطرابلسية والمراكشية ،والسنوسيون الذين اضجروا المستعمرين حينا من الزمن كانوا من سكان الزوايا ، ولكن هذا النظام انقرض من مصر ولم يبق له في المجتمع اثر محسوس ولم يرد الدين ، ومعنى ذلك أن الزوايا يهدى لأهلها الخبز القفار ، وبعض الزوايا تحمل إلى أهلها أطايب اللحوم وأسفاط العنب والتين!

وما نقول هذا ساخرين ، فقد افتخر الشعراني بزاويته فذكر أن الفقراء كانوا يجدون فيها ما يحتاجون إليه من طعام ولباس ، وإن الحق جل وعلا كان يرسل إليه كل سنة من عسل النحل نحو عشرة قناطير ، ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطارًا ، ومن القمح ثلاثمائة أردب ،

1- زروق الفاسي ، عدة المريد الصادق ، ص191

[2]-لواقح الأنوار ، ص 354 .

3- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ص305-306

وكان يرسل إليه كل سنة نحو ألفي بطيخة من البطيخ الهندي يأكلون منها طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد وقد صرح في البحر المورود انه ينبغي للشيخ ان يخرج من الزاوية كل من غير وبدّل عهود الفقراء التي دخل الزاوية على نيتها ، كما إذا دخل في العهد مع الشيخ على أن يرضى باللقمة والخلقة ثم طلب زيادة على ذلك.ثمّ قال: "وجلوس مثل هذا في الزاوية ضرر بلا نفع . ومن شرط رهبان الكنائس فضلاً عن المسلمين أن كل راهب أحب الدنيا أخرجوه من كنيستهم ، وقد صارت الزوايا الآن مصيدة للدنيا لا غير"[1]

وبعض ما سلف قاطع في الدلالة على ما كان للزوايا من القيمة المعاشية و الاجتماعية.

والشعراني كثير السخط على أهل زمانه ، ولو صدقناه لجزمنا بأن مصر في القرن العاشر كانت مباءة لجنود إبليس ، لعنه الله عليه وعليهم! وهو ينص بالذات على خيانة الجار للجار ، ويراها من أكبر الموبقات . وفي كلام الشعراني أن الزنا كان رذيلة شائعة لم يسلم منها أحد من الناس" حتى وقع أن جماعة من الأكابر اجتمعوا في مجلس فقال شخص منهم: من سلم منكم من الزنا فليحلف لنا بالله تعالى أنه ما زنى فما تجرأ أحد منهم على الحلف ، واعترفوا جميعًا بأنهم وقعوا في ذلك في شبابهم"[2] و"الأكابر" في كلام الشعراني هم الصوفية ، لا الوزراء ، وهل يسأل الوزراء هذا السؤال ؟!

وشيوع الفسق لا يقع في امة إلا في أزمنة الانحطاط ، لأن الناس لا يفسقون إلا حين يحرمون من الشواغل الجديّة ، أي حين لا يجدون من أعمال الشرف ما يلهيهم عن أعمال الدنس.

وقد ظل الشعراني حافظاً للعنهجيةالريفية ، وهي عنهجية تقوم على الترفع والإباء ، وهو من أجل ذلك يسيء الظن بأبناء الحواضر ويرى صحبتهم بابا إلى الفسوق ويقول في ذلك.

1- المصدر السابق، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،ص307-308

[2]- عبد الوهاب الشعراني ،لواقح الأنوار ، المطبعة العامرة ،1315ه ،ص 347 .

"وقد فسد جماعة من كثرة أكل الشهوات وخلطة من لا يصلح من أولاد مصر".[1]

و"أولاد مصر" هم شبان القاهرة ، وقد سمعت أنهم صلحوا في هذه الأيام!

ولم يكن الفسق كل ما يشكو الشعراني من عصره، بل كان يعتقد أن زمانه قل فيه الحلال"حتى إنه لا يكاد يوجد منه شيء في يد شيخ من شيوخ الفقراء فضلاً عن آحاد الناس"[2]،وكان التعاطف والتراحم مما يعسر وجوده بين الأقرباء"فكان الناس يسألهم قريبهم ثوبا أو طعاما أو دراهم فلا يعطونهم شيئا ، ويسألهم شخص لا قرابة بينهم وبينه فيعطونه ، ولعل العلة في ذلك أن القريب يأخذ ولا يشكر أصلا ، أو يشكر ولا يبالغ في الشكر ، ويقول لا جميلة في ذلك لقريبي بخلاف الأجنبي فإنه إذا أخذ من أحد شيئا يشكر صاحبه في المجالس ويبالغ في الثناء عليه ، والنفس من شأنها أن تحب ذلك"[3] ومعنى هذا أن المعروف لا يقدم إلا في انتظار ثمنه من الشكران.

في عصر الشعراني كان أهل البغي يجدون من يحذرهم عواقب البغي ، أما في عصرنا فيعيش الباغون عيش الشرفاء ، لأن الانتقام صار شريعة مرضية، لها قواعد وأصول.

في عصر الشعراني كنت تجد عصبة من أهل الخير تدفع عنك عنف الباغين أما في هذا العصر فيقف كرام الناس على الحياد ، ويتركون الظالم ينتاشك ويفتري عليك ، ويذيع من حولك الأراجيف ، ولا يتقدم رجل شهم فيقفه عند حدّه ، على نحو ما كان يفعل الرجال ، أيام كان في الدنيا رجال.

والشعراني يتحدث عن الظلمة وأعوان الظلمة في كل كتاب ، بل في كل صفحة من كتاب ، وهذا يدل على أن مصر في القرن العاشر كانت تشقى بآثام الظالمين ، وقد بقي ظل هذه المآتم على ألسنة العوام ، فتجد كل أم في الريف تدعو لابنها بهذا الدعاء:"الله يكفيك شر الحاكم الظالم" فالحاكم الظالم كان الشبح المخيف الذي يستعيذ منه الناس.

[1]-عبد الوهاب الشعراني ،لواقح الأنوار ، ص 347 .

[2]- المرجع،نفسه ، ص 304 .

[3]- نفسه ، ص 307

والحاكم الظالم انقرض من مصر ، وشعر الجمهور بالأمان ، لأن الرجل في الأعصر الخالية كان لا يأمن في كل لحظة أن ينقض عليه أحد الظلمة فيسلب ماله أو يسخره أو يضطهده بلا سبب مبين.

أما في هذه الأيام فلا يستطيع أمير ولا وزير أن يعتدي على ملكية أحد ، ولو كان من الصعاليك ، وفي مقدور كل امرئ ، أن يغدو إلى شأنه آمناً مطمئنا ولا يتعرض المرء للشر في هذه الأيام إلا إذا اشترك في الحياة العمومية ، فإن فعل فهو عرضة للظلم المصقول الذي ابتدعته المدنية.

وأريد أن أقول أن الرجل لا يتعرض للشر إذا تسامت نفسه إلى أن يكون من الشخصيات المرموقة في المجتمع ، فإن قنع بأن يكون فلاحًا أو نجارًا أو حدادًا فهو آمن كل الأمن ولا رقيب عليه ولا حسيب.

في عصر الشعراني كان الناس جميعا يعرفون الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وكان المفرط في دينه يكاد يتوارى من الخزي ، أما في هذا الزمان فالأخلاق كلام في كلام ، ولا يجوز لعاقل أن يعامل أحدًا إلا بسند مكتوب[1].

كان الشعراني يقول:

"رأيت جماعة يلبسون الصوف ، ويأخذون في أيديهم السبحة ، وألسنتهم كالعقارب ، وأفواههم كأفواه التماسيح ، وبطونهم كالسفر ، وهم مع ذلك يدعون الطريق" .

وهذه الحال توجد في مصر ، ولكن بشكل أبشع ، والفرق بين الناس في العصرين: أن المرائيين في القرن العاشر كانوا يعرفون بحمل السبح ولبس الصوف ، أما المراءون في هذا العصر فيتحدّثون كثيرًا عن "الضمير" ويطوفون طواف الخشوع حول كلمة"الأخلاق" ويلوذون باسم "الوطنية" في أكثر الظروف.

1- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،ص321

وإذا كان الشعراني شبه ألسنة معاصريه بالعقارب وأفواههم بأفواه التماسيح وبطونهم بالسفن ، فانا نرى ألسنة معاصرينا أمضى حدّا من عقود الشركات ، ونرى أفواههم أخطر من أفواه المدافع ، ونرى بطونهم أوسع من المحيط ، والله المستعان على أهل هذا الزمان[1].

4- نقدالفكون :

نقد الفكون للمتصوفة هو نقد للأنحراف عن التوحيد ، وكذا بعض الممارسات الخاطئة في العبادة والتي جعلتهم يبتعدون عن الشرع والسنة .

لذا أراد الفكون من خلال كتابه منشور الهداية تتبع عثراتهم وزلاتهم محاولا تصحيحها .

فلمّا رأيت الزمان بأهله تعثّر ، وسفائنَ النجاة[2] من أمواج البدع تتكسر ، وسحائب الجهل قد أظلّت ، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيسا والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيسًا ، وصاحب أهل الطريقة[3] قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروايح السلب والطرد من المولى عليه فائحة ، إلا أنهم ـ اعني الطائفتين[4] ـ تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية ، وحالات كانت قِدمًا للسادة الصوفيّة،فموهوا على العامة بأسماء ذهبت مسمّياتها [5]،

وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصارها ، لبسوا بانتحالهم لها على أهل العصر أنهم من أهلها ، فما راقبوا المولى أن يعالجهم ، ولا خافوا فجأة الموت فما بعدها أن تصادمهم ، لولا حِلم مَن سبقت رحمته غضبه ، فاغتروا وما نظروا ، واستهونوا وما استبصروا. كل ذلك والمولى يمهل لهم ، ويجري أسباب المُنى كيف ما أحبّوا على نحو إرادتهم ، فزادوا به تمرّدًا وطغيانًا ، وأظهروا به أنّ لهم نصيبًا وافرًا ، ولعمري/ لقد نالوا به حرمانًا وخسرانًا.

1- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،ص321

2- في الأصل (النجات).

3- يقصد بهم أهل التصوف المنحرف.

4- يعني الجاهلين من العلماء والضالين من المتصوفة.

5-عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص31 -32

وربما صارت الطائفة البدعية مقطعًا للحقوق ، وقسمًا يُقسم بهم في البر والعقوق ، والطائفة الأخرى[1] سطّرت أناملهم في قراطيس السجلات ما يوهم مَن لم يرهم ممّن يأتي في غابر الزمن أنهم من حزب العلماء بل ومن مشايخهم الأعلين.

كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء أن يُنسَبَ جماعةُ الجهلة المعاندين الضالين المضلين ، لهم أو يذكروا في معرضهم ، وغيرةً على جناب السادة الأولياء الصوفية أن تكون أراذل العامّة وأنذال[2] الحمقى المغرورين أن يَتَسَمُّوا بأسمائهم أو يظن بهم اللحوق بآثارهم ، ولم آل في التنفير من كلتا الطائفتين والتحذير منهم في كل زمان وأوان ، وبين كل صالح من الإخوان ، إلى أن أحسست لسان القول قد انطلق بنسبة ما لا يليق ذكره من أفواههم ، ويكون وسيلة إلى الله في الدنيا والأخرى ، لأني غرت على دائرة الكمال من أهل حضرته ، وذببت[3] جهدي باللسان والبنان على أهل صفوته ، فلا جرم وإنْ كنتُ متلوثًا بالخطايا والأوزار ، وممن أحمل عدّة من القبائح آناء/ الليل والنّهار ، أن أرجو[4] من الله المغفرة.

فهذا الجهاد الذي هو أحدُ من السيف في نحور أعداء الله ، وناهيك بهم أعداء ، نسخوا شرع سيّدنا ومولانا محمد ﷺ ، بآرائهم المسطرة بأقلامهم في سجلاتهم[5] ، وأحلوا الرشى[6]بأفعالهم ، والتمدح بها والعكوف على طلبها والاعتناء بأخذها في أنديتهم[7]، فهي عندهم من أرفع المكاسب وأسنى المطالب.

والطائفة الأخرى[8] أعلنوا بأن سابق الأقدار منوطة بإرادتهم ، وتأثيرات الأكوان صادرة عن اختياراتهم ، فزادت بهم العامّة شغبًا إلى شغبهم ، وتشويشًا دخل القلوب فما أعظمه وأصعبه!

---

[1]- أي العلماء الجهلاء ، أو أدعياء العلم.

[2]- في الأصل (أنذال) ، وكثيرًا ما يكتب الناسخ الذال دالاً على طريقة بعض أهل الشرق.

[3]- في الأصل (دببت) .

[4]- في الأصل (أرجوا) ، وهكذا في بقية المخطوط ، وكذلك مثيلاتها ، كيسخوا ، ويعفوا الخ.

5- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص33

[6]- جمع رشوة.

[7]- يعني في إجتماعاتهم ، وأحيانًا يقصد بالأندية الأماكن ، كما سيأتي.

[8]- يقصد بهم أدعياء التصوف.

واتخذت أتباعهم[1] ألقابًا لهم باسم الشيخوخة ، والتحذير من أن يغاضوا أو يتغاضوا ، فصارت العامّة تجانبهم ولا تحط بساحتهم ، وأما النكير عليهم فأربابه في قعر حفير وربما زاد في إفصاح[2] أحوالهم والحمل على بثّها وإبدائها ، ما أحدثوه من أنّ من مات منهم بنوا عليه وشيّدوا بناءات ، وجعلوا عليهم قبابًا من العود وألواحًا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا لهم من الألقاب التي لا تصلح لهم ، وهي من أوصاف سادتنا العلماء العاملين والصلحاء الفاضلين الكاملين ، وصيّروا ذلك لغابر الدّهر بحيث إنهم لبسوا على العامة في الحياة[3] وعلى من سيكون بعد الممات. فكيف بزمننا؟" . وهكذا نجد أن بعض الدارسين قد شعروا بتردي الأحوال الصوفية وضعف الأخلاق بالمقارنة إلى الأزمنة الغابرة . ولا نكاد نجد من "الثوار" الذين رفعوا صوتهم ضدّ انحراف التصوف عن جادّته الحقيقية إلا بعض الأصوات . وكان أقواها بدون ريب هو صوت عبد الكريم الفكون. فهو الذي انتقد متصوفة عصره بشدة ورمى معظمهم بالزندقة واتخاذ التصوف ذريعة للوصول إلى الدنيا واستغلال عقول العامة.[4]

❖ **مقارنة بين أهم النقاد الذين تقدم ذكرهم لأهل عصرهم والكشف عن وجوه الاختلاف والاتفاق في نقدهم للمتصوفة**

النقد للمتصوفة يأتي بأشكال مختلفة ومن مختلف الأصول الفكرية والدينية. ومن أهم النقاط الشائعة التي يطرحها النقاد للمتصوفة:

1- الانحراف عن التوحيد: يعتبرون أنَّ المتصوفة ينحرفون عن توحيد الله ويميلون إلى تعظيم الأولياء والأرواح والأشخاص المقدسة بشكل يتعارض مع تعاليم الإسلام.

2- التركيز الزائد على الأفكار والتجارب الروحية : فالمتصوفة يضعون التجارب الروحية والأفكار الفلسفية فوق الأعمال العملية والأخلاق، وبالتالي يفقدون الاتزان بين البعد الروحي والبعد العملي.

[1]- لعله يقصد المريدين.

[2]- أي وضوح.

[3]- في الأصل (الحيات)

4- عبد الكريم الفكون،منشور الهداية ، ص33

3- الابتعاد عن الشرع والسنة: فهم يرون أنَّ بعض المتصوفة ينحرفون عن الأساس الشرعي ويضعون تعاليمهم وتجاربهم الشخصية فوق ما ورد في الشرع الإسلامي وسنة النبي محمد ﷺ.

التركيز الزائد على الأشخاص والأذهان: يرى البعض أن بعض المتصوفة يركزون بشكل مفرط على تحقيق الاتحاد مع الإلهية واستحضار الأذهان، مما يمكن أن يؤدي إلى إغفال القضايا الاجتماعية والتركيز على العمل الخيري العملي.

ومع ذلك، يجب ملاحظة أن هذه النقاط لا تعكس آراء الجميع، وهناك العديد من العلماء والفقهاء الذين يرون قيمة المتصوفة ويرون أنه يمكن أن يكون لها أثر إيجابي في الحياة الروحية والتقوى .

خاتمة

خاتمة :

بعد هذا الجهد حول موضوع نقد المتصوفة ، خلصنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نجملها في النقاط التالية :

1- وجب الإشارة إلى أن هناك جهود لا تُغمَط من قبل أهل العلم والمهتمين بالتصوف في الإنكار على الخارجين عن سنن التصوف الصحيح ، فقاموا بواجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

2- علينا أن نتعقل في إطلاق الأحكام ، ونبتعد عن لغة التعميم وألا نحكم على الصوفية بحكم واحد ، إيجابا أو سلباً ، مدحاً أو قدحاً، وإنّما الواجب الشرعي يحتم علينا أن نحكم على كل حالة بما يناسبها ، على حسب قربها أو بعدها عن الشريعة .

3- من خلال البحث نلاحظ أنّ شيوخ التصوف كذلك أنكروا الكثير من الأمور على المتصوفة، والدافع وراء ذلك كله هو تصحيح التصوف ، وهذا ظهر لدى الطوسي والقشيري والغزالي والشعراني .

4- وجب علينا أن نعمل على تحرير التصوف من دخيله وبِدَعِهِ وهرطقاته، من أجل الوصول إلى تربية صوفية سليمة واقعية وعقلية .

5- مما خلصنا إليه تذمر الفكون من زمانه وذلك بسبب عدم اهتمام الناس بالعلم والعلماء في زمنه، وكذا انتقاده حتى لبعض أشباه العلماء الذين يتفننون مسالة أو مسألتين ويلبسون زي الفقهاء .

6- انتقادالفكون الحالة التي وصل إليها التصوف والتدين حيث ظهر طائفة من الدجاجلة الكذابين أدعياء التصوف ، فتنت بهم العامة وابتعدوا عن العلماء.

وفي الأخير نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ،والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع

أولاً : القرآن الكريم برواية حفص

المصادر :

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ط1، 1998،ج1-

2- عبدالكريمالفكون: ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تحقيق أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،ط1، 1987.

المراجع :

أولا : الحديث النبوي الشريف

1- صحيحالبخاري،الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيمبن المغيرة الجعفري البخاري، تح، محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة ، ط1، 1422 ه.

2- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر ، ج2، ط1347،1ه/1929م.

3- سنن الترمذي ،أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ،تح، بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي ، ط1996،1.

4- سنن ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج2،

5- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشرا طها،أبي عمرُ عثمان بن سعيد المقرئ الدَّاني ،تح، الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري،ج1،دار العاصمة.

ثانيا : التفاسير

1- تفسير ، ابن كثير ،دار الكتب العلمية،تح ،محمد حسين شمس الدين ،بيروت-لبنان ،ط1/1319هـ-1998م ، ج1.

كتب أخرى :

1-أبو القاسم سعد الله،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،1986، ط1.

2- أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان ابن عبد الملك بن طلحة القشري ، الرسالة القشرية، دار السلام ط2 /2003 .

3- أبو سالم محمد بن عبد الله العياشي ، الرحلة العيّاشيّة (ماء الموائد) ، تحقيق محمّد حجي الرّباط ، 1977 ، ط 2.

4- أحمد بابا التمبكتي ، نيل الانتهاج بتطريز الديباج ، كليّة الدّعوة الإسلاميّة طرابلس ، ط 1 ، 1989.

5- أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، عدة المريد الصادق ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1.

6- تاج الدين عبدالله السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، تح ، محمد علي ، دار الكتاب العربي مصر ، ط1 ، (1367هـ/1948م) .

7- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ج1.

8- عبدهُ غالب أحمد عيسى ، مفهوم التصوف ، دار الجيل بيروت ، ط1 1992.

9- عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ،تحقيق إحيانعباس،دار الغرب الإسلامي،لبنان1982، ط2،ج2.

10- عبد الرحمان جيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1974،ط7، ج 3.

11- عبد الله كنون ، أصل الطريق للشيخ زروق ،في كتاب النبوع المغربي ، ، ط2 ، بيروت ، 1961.

12- عبد الوهاب الشعراني ، لواقح الأنوار ، المطبعة العامرة ،1315هـ،بد تح.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
الاهداء	
مقدمة	ب
الفصل الأول : عبدالكريم الفكون و كتابه منشور الهداية	
المبحثالأول: ترجمةالفكونومؤلفاته	7
ترجمته	7
ثقافته	8
العوامل المؤثرة في ثقافته	8
شيوخه	13
تلاميذه	14
مؤلفاته	18
المبحثالثاني: عرضلكتابمنشورالهداية	21
1-وصفالكتاب	21
1-1 منشورالهدايةفيكشفحالمنادّعىالعلموالولاية	21
2-سببتأليفالكتاب	25
3-محاورالكتاب	26
الفصل الثاني :حالةالتصوفوصورالمجتمعمطلعالقرنالعاشر	
المبحثالأول: صورالمجتمعالإسلاميفيكتبالصوفية	32
1-حالةالتصوف	32
2- صورةالمتصوفالحقيقي	36
المبحثالثاني: نقدالمتصوفة	40
1- علاقتهبمنسبقه (الطريقةالزروقية،طريقةومنهجالشيخأحمدزروقنموذجًا)	43
2- ترددأحمدزروقعلىقسنطينة	45
3- عنبشرالحافيوأحمدزروق	46
4- رسالةالزروقإلىالموعفاويوابنسعيد	48

المبحثالثالث :نقدالفكونلعصرهووصفزمانه	52
1- وصفالمؤلفلأهلزمانه	55
2- التعريفبسيديأحمدالغربي،رحمهالله	57
المبحثالرابع :مسائلنقدية	58
1- نقدالقشيري	58
2- نقدأحمدزروقلأهلالبدعوماحتوىعليهزمانهمنفسادوباطل	63
أ- فصلفيمواقعالبدعوأنواعالمخالفات	65
ب- فصلفيمتشابهالأموربينالبدعةوغيرها	66
3- نقدالشعراني	67
4- نقدالفكون	71
❖ مقارنة بينأهمالنقادالذينتقدمذكرهملأهلعصرهموالكشفعنوجوهالاختلافوالاتفاقفينقدهمللم تصوفة	74
الخاتمة	
خاتمة	76
قائمة المصادر و المراجع	78
فهرس المحتويات	82